
شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية   العدد (٨) ٢٠٠٣/٦/١٥

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته   سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ

- إنفجارات الرياض: المصداقية والمشروعية في مهب الريح
- مكتبة الحرم المكي والمكتبات الموقوفة عليها
- العنف نجديّ التأصيل، جنوبي التنفيذ
- مشكلتنا هي مع الفكر الوهابي
- النوم مع الشيطان وسقوط البيت السعودي

حتميّة العنف الوهابي

الدولة المركزية والقيادة الموحدة:

هل يعجل صراع الأمراء الإصلاحات؟

في هذا العدد

دولة إنشطارية

كما هو مفعول القنبلة الانشطارية، فإن الدولة السعودية تملك خصائص الانشطارية من حيث أنها موّحدة في ذاتها قبل أن تمارس فعلها التدميري، فإذا تفجّرت فقدت وحدتها وربما أفقدت وحدة من حولها.

هذه الدولة بنزوعها العنيف نحو تشطير ما حولها كيما تبقى السلطة متوحدة تعيد إحياء خلاصة التجربة المزدحمة لحكيم الشرق السيد جمال الدين الأفغاني، وهو يقلّب طرفه وفكره في أسباب تأخر هذا الشرق الاسلامي وتقدّم غيره الغرب المسيحي. يقول بحرقة (فوجدت أقتل أدوائه داء إنقسام أهله، وتشتت آرائهم، واختلافهم على الاتحاد، واتحادهم على الاختلاف).. رسالة الأفغاني هذه لم يقدّر لها أن تكتمل لأنه رحل قبل قيام الدولة القطرية المشوّهة في شرق ظل يناضل أهله من أجل أن يخرجه من حدّي الاستعمار الأجنبي والاستبداد المحلي، وكان على من عاش في كنف الدولة المستبدة في الشرق أن يكمل القسم الأخر من رسالة الافغاني ليقول بأن الإنقسام قد تخلى الاستعمار عن إنفاذه في أمة الشرقيين وتولى أمراء هذه الأمة مهمة التشطير، فقد عرف هؤلاء أن استتباب حكمهم يكون بزرع الفرقة والقسمة فيمن يحكمون، بل وأن يتحوّل التشطير سياسة ثابتة في الدولة.

الدولة السعودية نشأت على توحيد الأجزاء سياسياً وتشطيرها نفسياً ودينياً وثقافياً واجتماعياً، فتوحد من هذه الأجزاء ما عزز سلطتها واستبدادها، وبقي ما دون ذلك في مهب التشطير.

سياسة التشطير خلقت قطيعة نفسية وثقافية واجتماعية بين قاطني هذا البلد، حتى وكأنه يخيّل إليهم أنهم يعيشون في دول متعددة وهم ينتقلون من منطقة لأخرى، فإذا سافر الحجازي الى الأحساء وجد نفسه في منطقة لا يكاد يعرفها أو يشعر بأنها جزء من ثقافته وهويته والوطن الذي يحلم بالانتماء إليه والعكس صحيح، ولو تحدث الجنوبي الى من في حائل عن تراثه التاريخي وتحدّره الإجتماعي ومخزونه الثقافي، فلربما وجد من يسأله عن أي الديار ينتمي، ومن أي قارة جاء والعكس صحيح أيضاً.

هل هذا التجاهل يوحي بأن رغبة السكان في المعرفة ضعيفة الى حد الإغتراب بين من يتقاسمون التراب والهوية السياسية، أم أن وسائل الإتصال متخلفة الى حد يصعب فيه التعارف بين المشتركين في المصير، أم أن الوعي الثقافي والسياسي ضحل الى حد إنصراف الناس عن بعضهم. كل المبررات مهما بلغت فإن حظها في الإقناع قليل قبالة السبب الجذري الكامن في السياسة التشطيرية التي إتبعتها الدولة السعودية منذ نشأتها. لقد أرادت هذه الدولة من الرعايا أن يتعرفوا عليها، ويرددوا ثقافتها، ويحسنوا معاملتها، ويتغنوا بأمجادها، وربما يفخروا بغزواتها الدموية فحسب، وما دون ذلك يمثل نقيضاً موضوعياً لتكوين الدولة ونشأتها، بمعنى أن الدولة قهرت عباد الله بالسيف فأحكمت قبضتها على أراضيهم، فإذا أرادوا التوحّد فيما بينهم فذلك يعني زوال قبضة الدولة عن أراضيهم، لأن في ذلك التأسيس الصحيح لنشأة الدولة الوطنية، حيث تبدأ هذه الدولة بإنضواء الجماعات وبصورة طوعية داخل إطار وطني ليفرز لاحقاً دولته الوطنية.

الوحدة السياسية للدولة السعودية نقيض الوحدة الوطنية، والدولة لم تنشأ على قاعدة إجماع وطني أو عقد إجتماعي

الدولة السعودية حالة مختلفة تماماً، فالوحدة السياسية فيها نقيض الوحدة الوطنية، وهي أساساً لم تنشأ على قاعدة إجماع وطني أو عقد إجتماعي أبرمته المناطق المنضوية في الدولة السعودية، ثم قررت هذه المناطق أن تعبّر عن نفسها سياسياً في دولة وطنية، وإنما قامت الدولة على أساس إستعمال القهر المفرط في إخضاع المناطق وإلحاقها بالمركز، وتأكيداً لذلك أصبحت (مملكة سعودية) وهذا المسمى لا يعني شيئاً آخر سوى ملك عائلة آل سعود. فهذه الدولة، إذن، ليست وطنية مهما تزيّت بمزاعم وطنية أو تمترست بخطاب وطني، ويكفي للإطاحة بكل ذلك أن الشعور بالانتماء اليها لم يتضاءل فحسب، بل يشعر كثيرون بأنه بات مكلفاً وتهمة.

فمن الآثام التي خلّفتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر وملحقاتها كإفرازات لسياسة التشطير السعودية، أنك مضطر في مطارات الغرب لأن ترصف الأدلة تلو الأخرى كي تثبت عدم انتمائك لعقيدة الدولة الدينية، باعتبارها عقيدة مسؤولة عن إشاعة الرعب والإرهاب في العالم، وتقدّم أدلة دامغة على عدم ترددك على هذا المسجد أو ذاك المركز الاسلامي، رغم أن ثمة في إعماقك ما يحاول الصراخ في وجه من أمامك بأنني لست بحاجة للدفاع عن نفسي أمام هذه التهم، فإن من اكتوى بعقيدة التشطير في بلده منذ عقود يشعر بالقرف وهو ينقل من موقع الضحية الى الجلاد والمتهم.

فالدولة التي انضوى قهراً إليها قدّمت للمواطن الدين على هيئة مقصّ كبير، شطرت به العالم الى مؤمنين وكفار، ودار حرب ودار سلام وإيمان، ثم شطرت المسلمين الى أهل توحيد وأهل بدع، وحتى داخل أهل التوحيد هناك إنشطارات متفاوتة الحجم.

كل ذلك تعلمناه ويتعلمه أطفالنا الآن في المدارس، الجميع يتعلم تشطير العالم وكراهيته، بإسم التوحيد (توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات)، فمن أجل توحيد الخالق فرّقنا المخلوقين أو هكذا تؤدي العقلية التشطيرية التي سادت هذه الدولة. هل حقاً أن عقيدة التوحيد تفعل فعلاً إنشطارياً في الخلق؟!

هذه النزعة التشطيرية لدى الدولة جعلت الحاملين لجنسيتها وجواز سفرها غير مكترثين لما يصيب الدولة مما اقترفته في الخارج، وما وصل من شظايا تطرفها خارج الحدود، فضحايا التشطير في الداخل لا يشعرون بأنهم معنيون بما يلحق بها من أذى، وجروح التشطير في أجسادهم لا تسعفهم حتى على مجرد التفكير في مصير الدولة.

إنفجارات الرياض تضع الحكومة أمام امتحان صعب

المصداقية والمشروعية في مهب الريح

لماذا تثير إنفجارات الرياض تحديداً الاسئلة الكبرى حول النظام تكويناً ومصيراً؟ فقد شهدت هذه الديار حوادث كبيرة منذ أكثر من عقدين، بدأت بما يعرف بإسم حادثة احتلال الحرم وظهور حركة جهيمان التي كانت تخطط للاطاحة بالحكم السعودي باعتباره فاقداً للشرعية الدينية، ثم دخلت البلاد في مرحلة العنف المسلّح مع دوي انفجارات العليّا بالرياض عام ١٩٩٥ والخبر عام ١٩٩٦ أعقبتها سلسلة تفجيرات صغيرة الحجم خلال السنوات الثلاث الماضية. غير أن التعامل مع هذه التفجيرات بقي محصوراً في حدود التفجيرات تلك على اعتبار أنها حوادث كانت قابلة للتطويق تأسيساً على قدرة الدولة في عزل المشتبه بهم وتحييدهم ومن ثم ضربهم. عوامل أخرى تضاف الى ذلك، فالأوضاع المحلية كانت حتى ذلك الوقت شبه محتملة رغم تردي الوضع الاقتصادي وتفاقم معدلات البطالة وتزايد حجم الجريمة، وكانت القبضة الأمنية والتلويح ببطش المباحث والقبضة الحديدية يأتي بمفعول قوي، وكذا الحال بالنسبة للأوضاع الاقليمية والدولية، فخلال السنوات الماضية كان النظام الاقليمي مستقراً نسبياً وكانت السعودية ماتزال تتنعم بقدر من التميّز كقوة سياسية فاعلة ونافذة في الوضع الأقليمي، وكان العراق معطوباً سياسياً، ولم تصل العلاقة مع الولايات المتحدة الى مستوى من التأزم ينذر بدخولها مرحلة القطيعة، وفوق ذلك وجود اتفاق كثر الحديث حوله بين قادة تنظيم القاعدة وأمراء في العائلة المالكة (وقيل بين أسامة بن لادن والأمير تركي الفيصل رئيس الاستخبارات العامة سابقاً وسفير السعودية في لندن حالياً) على إستثناء السعودية من الاستراتيجية الجهادية لتنظيم القاعدة وقائمة عملياتها العسكرية.

كل تلك العوامل كانت تحول دون الوصول بالجدل السياسي والتجاذب الداخلي مع السلطة الى مستوى المقارعة المباشرة مع أجهزة الدولة، بل والانكفاء عن التصريح بالمواقف الدينية من الحكومة.

ولكن ثمة تبدّلات كبرى حصلت في السنوات الأخيرة يمكن إدراكها في السلوك العام للسكان وفي النشاط الاحتجاجي المتصاعد ضد الحكومة، وفي وتيرة العنف المتنامية والمتمددة أفقياً وعمودياً، أي في تمسرح العنف على بقعة واسعة من هذا البلد، وعمودياً في ضرب أهداف هامة ومنتقاة وفي قدرة الجماعات الضالعة في هذه الهجمات على التحرك والمناورة لايثنيها اكتشاف بعض حلقاتها للسلطة عن المضي في مخططاتها وتحقيق أهدافها، فبعد أقل من أسبوعين على اكتشاف ما وصف بشبكة إرهابية في الرياض إهتزت الأخيرة بفعل سلسلة انفجارات قادها أفراد ينتمون الى نفس الشبكة. ثم توالت المواجهات المسلحة والتي كان يفقد فيها الجهاز الأمني بعضاً من عناصره.

ماذا يعني كل ذلك؟

كل عناصر المصداقية والمشروعية لدى العائلة المالكة تساقطت في فترة متقاربة، والحل يبدأ بالإعتراف بالأزمة

إن أول ما تلفت إليه هذه التطورات الخطيرة هو أن مصداقية الدولة باتت على المحك، فسقوط عنصر الردع من الدولة يعني أن مصداقيتها تمرّ بمنعطف خطير. فالناس حين لا يهابون الدولة يأمنوا شرها، ويتجاسروا على خرق ما فرضته من قوانين وقيود، إن مجرد استعادة مسيرة الردع لدى الدولة السعودية طيلة تاريخها الحديث أي منذ عام ١٩٣٢ وحتى الآن تتكشف أمامنا درجة الانحدار الساحق الذي بلغته، فالذين ظلت ذاكرتهم نشطة وتحتفظ بماضي القمع في عهد فيصل مازال يتملك بعضهم الخوف من القيام بعمل يودي بهم الى سجن المباحث بجدة، الذي كان يمتلىء بالسياسيين ـ كما يعرّفوا حينذاك ـ بل أن بعضهم ظل لاجئاً خارج الحدود وحين تبدّلت الظروف السياسية ومات ملك واعتلى آخر ظل هذا البعض مسكوناً بهواجس الأمن حتى بعد عودته لبلده فيما فضّل البعض البقاء في الخارج حتى زوال حكم آل سعود لما لقي في سجونهم.

هذه الصورة المفزعة عن القمع والبطش لم تتبدّل فحسب بل أصبحت مثار سخرية من قبل المعارضين، مما إضطر الأمير نايف وزير الداخلية قبل عدة شهور من الرد على القائلين بهشاشة الجهاز الأمني وضعف رجاله، متوعّداً أولئك المعارضين في الخارج بأن يثبت لهم عملياً كفاءة الجهاز الأمني. في الواقع إن مجرد لجوء الأمير نايف الى لغة دفاعية كهذه والهبوط الى مستوى استعمال المناكفة الكلامية يمثل علامة ضعف واضحة، فضلاً عن أن التجارب العملية التي تشهدها المملكة على مدار اليوم في مواجهات متواصلة مع الجهاز الأمني وفشل الأخير في تحقيق نجاحات حقيقية في تطويق الحوادث الأمنية أو القبض على المشتبه بهم أو حتى الخروج سالماً دون خسائر من مواجهات مسلّحة معهم، كل ذلك يؤكد أن خللاً عميقاً قد أصاب الجهاز الأمني.

التعبيرات شديدة الكثافة والدلالة على تهافت هيبة الأمن كثيرة، تبدأ من التحرّشات الكلامية مع رجل المرور وتمر بعمليات السطو المسلّح على البنوك والمراكز الحكومية والوزارات وتهريب السلاح ونقله وبكميات كبيرة وبيعه في أسواق شبه علنية والمطاردات المتبادلة والمسلحة وإنتهاءً بتخطيط وتنفيذ عمليات مسلحّة واسعة النطاق وبأحجام كبيرة. إذا لم يكن كل ذلك دليلاً كافياً على سقوط مصداقية الأمن والدولة معاً فإن الدليل التالي لن يكون سوى بسقوط الدولة حينئذ.

لاشك أن مقاربة موضوع الأمن لابد أن تضع في الحساب جملة العوامل المؤثرة فيه، حيث أن الالتحام العنيف بالدولة يوحي بأن تبدّلات جوهرية حصلت في علاقة المجتمع بالسلطة، بحيث أن مبررات العلاقة وأساساتها قد تعرّضت لإهتزازات شديدة. فحين تتحول الدولة في نظر أفراد المجتمع الى كونها عاجزة عن تلبية حاجاتهم وتأمين الحد الأدنى من حقوقهم تصبح مجرد العلاقة المعنوية معها

غير مبررة، وبالتالي فإن أي التزام أخلاقي تجاهها يصبح ضرباً من الغباء. ليس هناك ما يدفع الانسان لأن يطيع شخصاً ما لم يكن إما يخافه على شيء يملكه فيخسره أو يطمع في شيء منه فيحصل عليه منه، وكذلك العلاقة بالدولة، فإن الناس القاطنين داخل حدودها يطيعوها رهبة من بطشها أو رغبة في منافع يرجوها منها. فإذا عجزت الدولة عن تحقيق المنفعة فإن لجوءها الى القوة لابد أن يكون مستنداً على خوف الناس من الخسارة، وهذا ما لا يستشعره كثيرون في هذا الديار التي لم تعد تلعب فيها الدولة حتى دور (رجل الإطفاء) لمنع الخسائر، والا فإن جلب المنافع بات حلماً سرمدياً.

تفجيرات الرياض كانت إحدى الخلاصات الراديكالية لإنسداد أفق العلاقة بين المجتمع والسلطة، وهناك خلاصات أخرى معتدلة عبّر عنها جمع من دعاة الاصلاح في هذا البلد ممن ينتمون الى طيف واسع من تيارات فكرية وسياسية وانتماءات مناطقية ومذهبية، وكان على الحكومة أن تسلك طريقاً يجّنب البلاد والعباد مواجهات عنيفة قد لا يتمكن أحد من السيطرة على تداعياتها الكارثية.

عقد الدولة يكاد ينفرط، والعوامل ـ الكوابح التي كانت ساهمت في الابقاء على مصداقية الدولة وبالتالي مشروعيتها تكاد تتحلل الواحدة تلو الأخرى، فالدولة في العقدين الماضيين مرّت بأسوأ ظروف تشهدها منذ نشأتها، بدأت بعجز الموازنة المزمن، ثم تلاحقت الأزمات تباعاً.. وكل أزمة تلد أخرى أشد شراسة، فالعجز عنى فيما عنى تراجع مسار التنمية الاقتصادية، وتفشي الفساد الاداري، ومعدلات مرتفعة في البطالة، ونشوء الجريمة الفردية والجماعية، وتشكّل عصابات السطو المسّلح، وجاء الانفتاح الاعلامي كيما ينبّه الى ممارسات وأشكال في السلوك غير معهودة محلياً، وكان مرور الوقت على الدولة لا يعني سوى تراكماً في أزماتها وانفلاتاً في قبضتها على الوضع. وجاءت هجمات الحادي عشر من سبتمبر والتطورات المصاحبة واللاحقة لها لتفتح المواجهة داخلياً مع الدولة نفسها.

أمر آخر، كانت لحظة إعلان أسماء الخمس عشرة سعودياً المتهمين بالتورط في الطائرات الانتحارية، هي لحظة التحوّل الحاد في العلاقات السعودية الأميركية، وبداية تصدّع التحالف الاستراتيجي بين البلدين، والذي عبّر عن نفسه مؤخراً بنقل القوات الجوية الأميركية عملياتها الى قطر. وبخلاف ما يصوّره بعض المحللين بأن قرار النقل هو لاسقاط مبررات الأعمال الإرهابية ضد الولايات المتحدة، فقد جاءت التفجيرات لتؤكد أن قر النقل لم يحل دون إنطلاق الشاحنات الانتحارية بإتجاه



عبد الله وبوش: تنازل لارضاء الامركيين

أهدافها المرسومة.

نقل القوات الأميركية الى قطر يحمل رسالة واضحة وهي أن السعودية لا تتمتع بعد الآن بـ (الحماية) الأميركية، وإن كانت الحاجة الى نفطها مازالت باقية، ولكن معادلة النفط مقابل الحماية هي الأخرى لم تعد متماسكة كما الحال في الماضي، فهناك تبدّلان كبريان وقعا ولاشك أنهما تركا تأثيراً عميقاً على المعادلة تلك وهما: سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩واحتلال العراق في ١٩ أبريل ٢٠٠٣، فالتحالف الاستراتيجي بين واشنطن والرياض قائم على أساس توفير نفط رخيص مقابل حماية العرش، والحال أن سقوط الاتحاد السوفيتي أسقط مبرر الحماية من منظور النظام الثنائي القطبية، كما أن إحتلال العراق خفّض الحاجة الى نفط السعودية.

غير أن من الضروري الالتفات الى نقطة ذكرها موظف السي آيه الآي روبرت بيير في مقاله في مجلة اتلانتك بعنوان (سقوط بيت آل سعود) وهي أن السعودية لا تسيطر على خيار النفط وبالتالي لا يمكن لها أن تستعمله كورقة ضغط. فالعائلة المالكة تعلم أنها إن فعلت ذلك تقطع رقبتها بنفسها، فهي لا تملك سوى بيعه الى الولايات المتحدة، وطالما كان الأمر كذلك، فإن وجود العائلة المالكة أو غيابها لا يشكّل بالنسبة للادارة الأميركية قلقاً.

العائلة المالكة، في ظل أوضاع مترديه اقتصادية وسياسية وأمنية داخلية وتبدّلات جيوسياسية إقليمية وشبه انهيار في التحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة، تواجه بالفعل أزمة مصداقية وشرعية في آن، إذ أن تلك المصداقية والمشروعية كانتا تستندان على قدرة الدولة في فرض النظام وردع الخصوم، ولجم الاختراقات الموجهّة ضد القانون، وفي كسر إرادة المعارضين لها وفي توفير قدر من الاطمئنان والرفاه والرعاية، وفي اكتساب موقع معنوي داخل المنظومة

الاقليمية التي تنتمي اليها، وفي بناء تحالف على مستوى دولي يمنحها سمعة سياسية وتقدير دولي خاص..كل هذه الاعتبارات تهاوت بصورة دراماتيكية، والمثير للدهشة أنها جاءت متقاربة الى حد كبير.

كل ذلك أصاب مصداقية الدولة في مقتل، وجعلها مكشوفة على المستويين الداخلي والخارجي، ففي الداخل هناك شعور عام بأن الدولة باتت عاجزة عن استرجاع الأمن، بدليل أن كل تدابير الضبط المستعملة عجزت عن احتواء الأزمة الأمنية فضلاً عن حلها، وهناك شعور عام أيضاً بأن الدولة لم تعد تملك زمام مبادرة حل حقيقي لمشاكل البلاد الاساسية: الاقتصادية والسياسية، وأن الحل بات ينتظر من خارج العائلة المالكة.

وخلاصة الأمر أن الدولة تعلم يقيناً أن مشاكلها لا يمكن أن تنتهي بحلول سحرية ولا بالطرق الاعتيادية، فالأزمة الاقتصادية لن تسوّى بسهولة وسرعة، فالدين الداخلي المتراكم يكفي لأن يورّث أجيالاً قادمة أعباءً مضاعفة في هيئة فوائد متراكمة قد تفوق في وقت لاحق حجم الدين الاصلي، وأن مجتمع البطالة يتزايد بما يجعل السيطرة عليه شبه مستحيلة، فهناك مائة ألف عاطل عن العمل يدخل الى هذا المجتمع، بما يلحق ذلك من تبعات سلبية اجتماعية وأمنية واقتصادية.

إذا كان حال الدولة كذلك، فلما لا تكون الواقعية أساساً لفهم المشاكل العالقة، وإن من الواقعية أن تقدّم حلول سياسية لمشاكل إقتصادية، فالانفراج السياسي كفيل بتخفيف أعباء المشكلة الإقتصادية، وهكذا يفعل حكماء السياسة، فمن أجل تخفيف حدة الاختناق الاقتصادي تفتح أبواب السياسة من أجل أن يتسرب بعض الهواء وبعض الأمل. فالسياسة تحلّ في أحيان كثيرة مشاكل اقتصادية، لو أتقن الساسة إدارة الحلول السياسية بحكمة، تماماً كما أن الحرية تصنع فرص عمل عديدة.

الدولة والجذور المجنونة

بحثٌ عن وطنٍ مُتخيّل

وثيقتان هامتان عبّرتا عن ميول موّحدة رغم إنبثاقهما من محيطين إجتماعيين متفاوتي الحجم وربما من إتجاهين إيديولوجيين متباينين. الوثيقتان هما (رؤية لحاضر الوطن ومستقبله) أعدّها وقدّمها رهط من دعاة الأصلاح في يناير الماضي وهم يتحدّرون من مناطق ومذاهب واتجاهات ايديولوجية وسياسية متنوعة، والأخرى (شركاء في الوطن) في نهاية أبريل الماضي رفعها جمع من شخصيات اجتماعية ودينية واعلامية من الطائفة الشيعية. مضامين الوثيقتين تؤكد على أن ثمة مشاعر تتوالد تباعاً في مسعى حثيث نحو البحث عن وطن متخيّل لا تنتمي تلك المضامين الى الواقع المنبعثة منها، فهو مجرد الوطن الحلم الذي يأمل الجميع تحققه. فالوطن المتخيّل في خبايا الوثيقتين والثاوي بداخل المعاني المراد إيصالها لعلية القوم هو وطن ليس متصاهراً مع الدولة، التي يؤكد أربابها وصنّاعها أنها لا يمكن أن تكون تعبيراً وطنياً او خلاصة من وحدة أمة.

إذا كان ثمة ملمح يستحق الوقوف عنده في هاتين الوثيقتين فهو أن مشاعر الانتماء لوطن متخيّل تعكس نفسها بسطوة في مفردات الوثيقتين، وكأن تلك المشاعر تنبّه الى الجبّلة التي تغمر بني الانسان وتشدّ وثاقه بعرى وطن يجد فيه مأوى لمشاعره، وسكناً لروحه، ووسادة لقلبه، وسناماً لكرامته، ومصدراً لفخره ومعبراً لعلاقات إنسانية مع أوطان اخرى ينقل لها صورته، ويتبادل معها مشاعر المحبيّن لأوطانهم.

أمام تلك المشاعر المتدفقة نحو وطن متخيل، هناك في المقابل عمليات هدم متواصلة لأسس ذلك الوطن، فبينما ينطلق موقعو الوثيقتين من وجود وطن افتراضي يتطلعون الى السكن فيه والانضواء بداخله وتمثيله أمام الآخر، تتكاتف جهود أخرى تهوّي بكل تطلع وطني وتطيح بكل أمل يقترب من حقيقة اللحظة الحاسمة في ولادة الوطن. فهناك دائماً ترديد لمضادات الوطن، كالمقام الطويل عند العقيدة السلفية للدولة من قبل أمراء الدولة، وهو مقام يطوّر نزوعاً مناهضاً لأي ميل وطني، والحديث عن دعوية الدولة، والحقانية التاريخية للعائلة المالكة، والخصوصيات المناطقية والثقافية والدينية للدولة.

ولذلك فإن الوطن الحالي، الافتراضي، لم تظعن إليه أي من الجماعات الموجودة بداخله، لأنها لم تتعرف عليه أو تطمئن إليه أو تعتقد به أو تعتنقه. هذا الوطن لم يحمل مواصفات هذه الجماعات وسماتها بل هو وطن يريد تغييبها وإلغاءها، إنه وطن جماعة محدودة العدد والتطلع والهدف.

فالذين يكتبون عن الوطن في هذا البلد،

لم تظعن الى الوطن الحالي، الافتراضي، أي من الجماعات الموجودة بداخله، لأنها لم تتعرف عليه أو تطمئن إليه أو تعتقد فيه أو تعتنقه، فهو وطن جماعة أخرى

إنما يكتبون عن وطن متخيّل يأملون ولادته، ويرجون المشاركة في تربيته وتنشئته، إنهم، بكلمات أخرى، يتطلعون الى وطن من صنع أيديهم وناطقاً بإسمهم ومعبّراً عن إرادتهم.. وطن يصيغ الجميع أحلامه، وألوانه وأهدافه الكبرى.

إذا كان الأمر كذلك، فإن من ينشأ خارج رحم الوطن لا ينتمي إليه، ونتيجة فإن هذا الوطن، المتخيّل، لم ينجب الدولة هذه، فهي ليست من نسله، لأن الدولة تمثّل ذروة تمظهر الوطن والتجسيد المادي له، وأقوى تعبير عنه، فإذا لم يصنع الوطن الدولة، فإنها تكون خصماً له، وأهلها غرباء فيها، فالوطن وحده مصدر التعارف ومنشأ الروابط، والدولة هي الرابطة العليا المخلّقة في هذا الوطن.

وإن إدراك المعنى العميق واللامتناهي للوطن يسترعي تعريف ما ينجبه من حقائق مادية وما يعكسه من روابط على الأرض. فالدولة كأبرز معنى للوطن وأسطع تجسيداً له، تمثل رابطة عقلانية بين جمع كثير من الأفراد، تستمد مشروعيتها من تحقق مجموع أو غالبية الإرادات باعتبارها أفعالاً عقلانية.

الديباجات المدججة بعبارات وكلام عن الوطن في العرائض المدفوعة الى من هم فوق، وفي الكلام الانشائي المسيّل في مقالة صحافية أو في مقطوعة أدبية أو حتى مادة نقدية تمثل تطلعات أصحابها نحو الوطن المتخيّل، كما تمثل وسائل مخاطبة معه، باعتبار الانتماء الى وطن إشباعاً لحاجة عاطفية بدرجة أساس.

الدولة السعودية بمكوّناتها الحالية وأدائها العام والفريق البيروقراطي الضخم الذي يديرها تحمل نموذجاً لوطنها هي، وليس وطن الآخرين، الذين يشكّلون الأغلبية في هذه الدولة، فهناك ما يشبه صراع أوطان داخل هذه الدولة، وكل له طريقته الخاصة في الفهم والتعبير عن وطنه. وطن يحمله المستفيدون من الدولة يريدون منه أن يهيمن بحسب الرؤية الغرامشية لمفهوم الهيمنة، ووطن آخر يحلم به كل الباقين المتضررين من الوطن الآخر غير الوطني، وطن تترعرع فيه المشتركات بين من يعيش على أرضه، وتتوّج بولوج الروح المشتركة بداخله، فتظهر على شكل دولة/ وطن/ أمة.

ليس هناك ما يشيع الاعتقاد بالدولة الراهنة، السعودية، بكونها وطناً، بل هناك كما أسلفنا عمل دؤوب ومتواصل من أجل وأد أي جنين وطني يأتي بدولة وطنية، وبالتالي يقوّض أسس الدولة الراهنة اللامنتمية.

أراد التوّاقون الى وطن في عرائضهم ورسائل الشكوى أن يبلغوا من فوق بأنهم يتعاملون مع وطن لا يؤمن من فوق به، ويخاطبون وطناً لا يعرف من فوق لغته بعد، ويطالبون بوطن يسكنون إليه ويأويهم

جميعاً دون أن يبقي أحداً خارج حدوده، ولا في ظله، لأنه نشأ كي يحضن أبناءه جميعاً.

هذا الوطن لم يولد بعد، وبالتالي فهو لم ينجب هذه الدولة القائمة، يتوثق ذلك في انحباس ولاة الأمر في الحلقات الأولى التي نشأوا منها وتمثّلوا فيها، فهم في حالة إبلاغ متواصل لمن تحت بأنهم لا يحملون خصائص مشتركة مع رعاياهم، فهم من طينة وفضاء ودعوة ودم وتاريخ مختلف، ومن أراد البقاء في وطنهم فليتحلل في خصائص غيره، وليمحو ذاته في ذات أخرى خاصة.

هذا ما لم يأمله المحاربون من أجل حريتهم، وانعتاقهم، وهو خلاف لمنطق العصر أيضاً، فالتوق الى صناعة وطن من المقهورين لا يؤدي سوى الى فنائه واضمحلاله، لأن الوطن، من بين أشياء أخرى قليلة في الكون، يصنع بالإرادة الحرة، فإذا استبدلت الحرية بالقهر تخلق شيء آخر غير الوطن، وليكن دولة، ولكن ليست وطنية بحال.

ثمة مفارقة مدهشة حقاً، أن إنشدادين متقابلين يتنافسان على الحضور الكثيف في الوعي والسلوك العام لدى كثير من الجماعات المنضوية بداخل الدولة السعودية في الآونة الأخيرة، وهما: الإنشداد الوطني النازع نحو تشكيل جماعات ضغط وطنية وبؤر عمل مشتركة من أجل إحراز ما تواطأ أعضاؤها على الحلم به وهو الوطن المتخيّل، والانشداد الخاص المذهبي والقبلي والمناطقي، فالنزوعات المذهبية لم تقتصر على الوهابية في نجد والشيعة في المنطقة الشرقية بل هناك تكتيلات مذهبية أخرى يراد تفعيلها كما بين أتباع المذهب الاسماعيلي في نجران والذين دخلوا مرحلة التعبير العلني عن هويتهم وذاتهم الإثنومذهبية، وهكذا أتباع المذهبين المالكي والشافعي في الحجاز والأحساء، وهناك النزوع القبلي المتفاقم أحياناً فالكتابات التي ظهرت خلال السنوات الأخيرة عن قبائل معروفة في السعودية تمثل إحياءً للهويات الفرعية التي جرى طمسها بعد قيام الدولة، فكان فشل الأخيرة في بناء هوية عليا جامعة قد فسح الطريق أمام تلك الهويات كي تبعث من جديد، بعد أن أفادت من ماكينة التحديث كي تستعيد حيويتها وعنفوانها. وما يقال عن النزوع المذهبي والقبلي يسري بدرجة موازية على النزوع المناطقي، والذي غالباً ما يجد مثاله البارز في الصراع الخفي/ الظاهري بين نجد والحجاز، على أن النزعة المناطقية تكاد تكون طاغية على أغلب المناطق سيما تلك التي جرى تهميشها لأسباب مناطقية.

ولكن التحليل المنطقي يرشدنا الى أن هذين الانشدادين المتقابلين الكلي والفرعي أو الوطني والفئوي هما رد فعل تلقائي على فشل الدولة الحالية، فشلها في أن تصنع وطناً وفشلها في أن تتخلص من عبء (الخصوصية) المتميّزة التي بها تقهر الجماعات الخاضعة تحت سلطانها. فهذه الجماعات تعبّر عن رفضها للدولة الراهنة بمخاطبة وطن تعلم على وجه اليقين بأنه غير موجود، ولسان حالها يقول إننا نطالب بوطن، وبرفضها لتلك (الخصوصية) تلجأ الى بعث خصوصياتها لتجبه بها محاولة الصهر القسري أو حتى الدعوة اليها.

هذا الوطن يقضي بحقوق مشتركة وواجبات أيضاً مشتركة، ويدعو الى المساواة بين أبنائه لا فرق بين ذكرهم وأنثاهم، ولا فرق بين نجديّهم وحجازيهم، ولا سنيّهم وشيعيّهم، ولا قحطانيهم وعدنانيهم، فهو وطن الجميع، ولذلك أصبح منبوذاً، ولذلك نقول بأن الموقعين على العرائض يخاطبون وطناً آخر متخيّل، وأن الاصلاح فيه ليس جزئياً بل يطال جوهر وتكوين الدولة، لأنها لا تصح بحال أن تكون أساساً لبناء وطن.

الذين يكتبون عن الوطن إنما يكتبون عن وطن متخيّل يأملون ولادته، ويرجون المشاركة في تربيته وتنشئته.. وطن من صنع أيديهم معبّراً عن إرادتهم

ليس الفكر الديني السلفي المناهض بتكوينه الايديولوجي لمبدأ الوطن وحده المسؤول عن غياب الوطن، بل العائلة المالكة أيضاً تمثل خصماً موضوعياً وعنيداً له أيضاً، لأن الوطن يسلبها بعضاً هاماً من امتيازاتها، تماماً كما فعل الوطن في بريطانيا وفي كل المملكات والامبراطوريات في العالم، التي تحوّلت الى أوطان ودول وطنية، وما لم ترضخ العائلة المالكة الى منطق الوطن ومصلحته فستبقي المسافة الى الوطن بعيدة للغاية.

ألا يبعث على الغرابة والدهشة أن الكتابة عن الوطن في هذا البلد نادرة جداً إن لم تكن تقترب من العدم، وإن وجدت فهي تعود الى أناس ينتمون الى ذلك الوطن غير الوطني، أي الى المنتفعين من الدولة الراهنة، رغم أن الجهاز العاطفي لدى كتّاب هذا البلد لا يختلف في عنفوانه وطاقته عن الأجهزة العاطفية في البلدان الأخرى، التي صبّت تلك المشاعر الفيّاضة في قصيدة وطنية أو مقالة تتغنى بأمجاد الوطن، أو قصة عن تراث وتاريخ وإنتصارات وحضارة هذا الوطن. إنه شكل آخر من الأشكال القاسية للحرمان حينما تختنق مشاعر الانتماء وتذبل ثم تموت في صدور أصحابها من كتّاب وروائيين وشعراء وتشكيليين.

إنه العار حقاً أن تتحدث شعوب العالم عن أوطانها، وهذا البلد مازال يبحث عن وطن كي يهديه مشاعره المكبوتة، ويعطيه بصدق ما غمرته الدولة بسطوتها وقهرها من قدرات أبنائه الذين مازالوا بانتظار الولادة المتأخرة لهذا الوطن.

صفوف المتعاهدين على مبايعة الوطن كما تنبيء كتابات مكتظة متدافعة على امتداد أكثر من عقد قد صاغوا نموذجاً منشوداً لوطن جميل، يتمتع فيه أبناؤه بالحرية، والمساواة والعدل والديمقراطية والتعددية، وينبذون فيه (الواحدية الثقافية) و(النزعة الاستئصالية)، و(احتكار السلطة)، و(تبديد الثروة). وما بين القوسين ليس سوى انتخاباً لمصطلحات أنتجتها أقلام المثقفين والإصلاحيين في هذا البلد وعبر مناظرات ثقافية ممتدة وساخنة.

إنفجارات الرياض في الثاني عشر من مايو رفعت الى ساحة المناظرة الثقافية الموضوع المستور ولكن الأشد إلحاحاً في هذه الفترة، وهو الفكر الاستئصالي كأحد أبرز منتجات اللاوطنية والدولة الراهنة، فالرزمة المتعاظمة من المقالات النقدية هذه الأيام للفكر الاستئصالي الديني المقنبل للشاحنات الانتحارية تلك تجتمع على أن غياب الوطن وحده المسؤول عن نشوء ظواهر فئوية تقامر بالقاطنين الأصليين داخل الدولة وتحرمهم من حق التعبير عن أفعال ذات تأثيرات جماعية، ولو كان الانتحاريون ينتمون الى وطن لحال الأخير بينهم وبين الانخراط في عمل كارثي، أو لكان الوطن أحد الكوابح الفعالة لمكائن العنف النشطة هذه الأيام.

بكلمة، إن الجميع يعيش في دولة بلا وطن، والشعور بذلك بات طاغياً ويجنح بالغالبية العظمى للانتقال اليه بخيالهم كيما ينتقلون معه في الواقع ليصنع لهم دولة الوطن.

معالجة الإنشقاق السياسي دون المساس بالمنهج التكفيري

حتميّة العنف الوهّابي

لا حتميات في السياسة.. هذا صحيح. كذلك لا مستحيلات قطعيّة.

والعنف كظاهرة إجتماعية لها جذورها وأسبابها ووسائل ديمومتها. وهي بهذا لا يمكن أن تكون حتميّة إلاّ بمعنى توفر الشروط والمناخ الملائم لنشأتها ووقوعها. وهذا ما نقصده بكلمة (حتميّة) العنف الناشئ عن التطرّف الديني في المملكة.

فما نعنيه هنا بالتحديد هو أن وقوع أعمال عنف في البلاد أمرٌ حتمي، ضمن الظروف الراهنة التي توفر كل الشروط لذلك. وعلى هذا الأساس طفقت مجلة الحجاز تحذّر من العنف وتصاعده في البلاد منذ العدد الأول لصدورها. ولم نكن نرجم بالغيب، ولا ندّعي علماً لم يصل إليه أحد، وإنّما هي قراءة للمشهد السياسي السعودي بكل تفاصيله ومكوّناته التي تشكّل المادّة الخام لأي تحليل سياسي أو إستقراء مستقبلي، وهي مواد متوفرة لدى الباحثين والمتابعين للشأن السياسي المحلي.

إن الظروف السياسية والإجتماعية في المملكة لم تجعلنا نتفاجأ بتفجيرات الرياض الأخيرة، فهي متوقعة، وقد قلنا مراراً إنها مجرد مسألة وقت ريثما يتحوّل العنف من الخارج الى الداخل، ومن اصطياد الأجانب الى اصطياد المواطنين، ومن التعرّض للمنشآت العسكرية الغربية في المملكة، الى مهاجمة المنشآت الوطنيّة.

ما حدث وسيحدث من عنف في المملكة ليس نتيجة عامل الفكر الوهابي وحده، ولكنه نتيجة جدّ طبيعية لسياسة الحكومة التي لا أحد يلقي لوماً عليها. هناك من يتحدث عن أن فكر التطرّف انتشر (في غفلة من الزمن) كما يقول رئيس تحرير الرياض تركي السديري، وهذا ليس صحيحاً مطلقاً، بل إن الفكر المتطرف الذي أفرز العنف وجد من يدعمه ويشد من أزره ويمنحه الفرصة للنمو.

هل مناهج التعليم مسؤولية مروجي العنف، أم سياسة الحكومة؟

وهل السلطات الواسعة الممنوحة لدعاة التطرف والعنف والتشدد جاءت منحة من السماء أم بقرار من الأمراء أنفسهم؟

تريد تقوية (العقيدة الصحيحة) وترسيخ (الإسلام الصحيح) وفرض مبدأ (الدولة السلفية) كما يقرّ الأمير نايف صراحة. إذن فلتتحمل نتيجة ذلك!

الآن، تحاول المؤسسة الرسمية أن تنأى بنفسها عن العنف، وعن أفكار التطرف، ولكن هيهات.. فالمصدر واحد، والفكر واحد، والتفسير واحد، ولم يختلف إلاّ بشكل محدود بشأن التطبيق، ومع هذا فالذي طبّق مفاهيم الفكر الوهابي المتطرّف مجتهد: إن أصاب فله أجر، وإن أخطأ فله أجران!

الآن، يحاول مدّعو الصحوة تقليص حجم الأضرار التي قد تلحق بالتيار السلفي ككل، ونقول (قد) لأن الواقع قد يكذّب ذلك، وسياسة الدولة لاتزال على نهجها القديم مع بعض الترقيعات التي لن تجدي نفعاً.. يحاول من أطلقوا على أنفسهم (الصحويون) أن يظهروا وكأنهم رموز إعتدال، وما هم إلاّ نتاج الفكر المتطرف، لم يتغير حتى ملمسهم، بل أن أحدهم ـ وهو سفر الحوالي ـ امتدح أسامة بن لادن علناً على قناة العربية، وأشاد بفضله. مثل هذا الكلام لا يقال على شاشة التلفزيون ـ على الأقل ـ

ما جرى من عنف في المملكة نتيجة لأسباب، والأسباب لاتزال قائمة، وستظل ـ فيما يبدو ـ قائمة في المستقبل القريب.

الحكومة مصدرٌ أساس للعنف.

إنها باستبدادها تخلق بيئة التعصّب السياسي. وبأفعالها المنكرة في السجون والمعتقلات تطلق شحنات عنف إضافية الى الشارع. لقد نُشر بأن العييري الذي قُتل في صدام مع قوات الأمن في تربة بالقرب من حائل، كان معتقلاً في الدمام، وقد تعرّض لتعذيب بشع لجرم غير واضح وغير مسبّب، وحين أطلق سراحه بعد سنوات انتقم من الجلاّد فدبّر مكيدة قتله، وقيل حينها بأن ما جرى مجرد حادث مروري، وتمت لفلفة الموضوع كعادة وزارة الداخلية. هناك دعوات جادّة تقول لدعاة العنف بعدم الإستسلام، لأن الموت أرحم من الإعتقال والتعذيب، وإذا كان لا بدّ من الموت: فمن الحمق أن يموت الواحدُ منهم حتف أنفه أو على فراشه. وهذه دعوة لبيع النفس عبر عمليات انتحارية تستهدف دعاة العنف الحكومي ومؤسساته.

> **التطرف الديني حجر زاوية العنف السياسي، والحكومة كانت المروّج له عن عمد وسابق إصرار**

والحكومة مسؤولة عن العنف مرة أخرى، لأن لا أحد ساهم ـ أو كان قادراً ـ على توفير بيئته الصالحة سواها. فكل سياساتها تصبّ في منحى إنتاج العنف والتطرّف لإستخدامه ضد الآخر قبل أن يرتدّ عليها. هي من اعتمد فكر التكفير والتطرف مناهج تدرّس لأبنائنا في مختلف مراحل الدراسة بذرائع العقيدة الصحيحة والإسلام الصحيح، وهي من روّجه في إعلامها الرسمي، وفي الصحافة فاقدة الحرية، وهي من ثبّته كخطاب رسمي في المساجد وصلوات الجمع دونما رقيب أو حسيب، وهي من منح الفكر المتطرف مؤسسات تغذيه وتنمّيه، ورفدها بمليارات الدولارات، بل وهي من أصّل هذا الفكر عبر تأسيس الجامعات الإسلامية التي خرّجت كل منظري التطرف الوهابي اليوم، وزيادة على ذلك هي من (صدّر) هذا الفكر الى الخارج، حتى أنه كان لافتاً ومنذ أكثر من عقدين بأن هذا الفكر وقبل أن يصبح التطرف عنفاً ما أن يصل الى المجتمعات المنسجمة دينياً ومذهبياً حتى يشقّها ويأخذ التناحر والتقاتل مأخذه بين شرائحها.

أفبعد هذا يحق لنا أن نتحدث عن تغرير لشبابنا، أو عن غفلة من الزمن نفذ منها العنف إلينا، أم هل يحق لنا الإدّعاء بأن العنف طارئ على مجتمعنا وأنه محدود ببضعة أشخاص لا يفقهون الدين؟ إن العنف تمّ تأصيله، وفي كل خطوة أو واقعة تجد الأدلّة الشرعية ـ حسب المدرسة الوهابية ـ ومن مختلف رموزها تستخدم للإستشهاد وكأدلة فاحمة

ماذا دهى الجنوب؟

التأصيل والتحريض نجدي.. والتنفيذ جنوبي!

غالبية السعوديين الذين قاموا بتفجيرات نيويورك كانوا سعوديين من منطقة الجنوب. لماذا؟ حاول بعض الصحافيين الغربيين الإجابة على هذا التساؤل، فسافروا الى المنطقة الجنوبية واجتمعوا ببعض فعالياتها، واكتشفوا واحداً من عناصر المشكلة: الفقر والإنحطاط والتأخر الإقتصادي. بيوت صفيح وأدنى من ذلك، وبطالة واسعة، وغياب شبه تام لبرامج التنمية.. الخ.

وحين أعلنت وزارة الداخلية معظم أسماء الذين قاموا بتفجيرات الرياض الأخيرة تبيّن مرّة أخرى أن معظمهم من منطقة الجنوب. فأثير التساؤل آنف الذكر عند الصحافيين وفي مواقع الإنترنت، لأن الدوافع الإقتصادية لا تشكل إجابة حاسمة في تفسير الأمر.

قد نجد في ثنايا التاريخ والثقافة ولعبة السياسة المحلية بعض مفاتيح تفكيك اللغز. فمنطقة الجنوب رغم التنوّع المذهبي فيها، هي المنطقة الوحيدة بين مناطق الجزيرة العربية التي لم يكن لها تراث مذهبي ضارب الجذور. فالإسماعيليون في نجران، والزيود، والشوافع متواجدون في المنطقة، لكن بالقياس الى الحجاز والمنطقة الشرقية اللتان كانتا مركزاً مشعّاً لكل المذاهب الإسلامية، فإن منطقة الجنوب هي الوحيدة التي استطاع المذهب الوهابي اختراق بعض مناطقها، كما يذكر ذلك بوضوح حافظ وهبة في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين. ربما لهذا السبب، إضافة الى تشابه الطبيعة القبلية مع نجد، استطاعت الوهابية ان توجد لها موطئ قدم فيها، وإن فشلت في المناطق الأخرى بشكل واضح في عملية التبشير المذهبي.

ولمّا احتدم الصراع على مواقع النفوذ بين الحجاز ونجد خاصة في السبعينيات والثمانينات، رأت النخبة النجدية وفي سبيل تجريد الحجازيين من مواقعهم، الإستعانة بالجنوب في المعركة كلاعبين ثانويين يقادون نجدياً. فعلى سبيل المثال كانت قيادة الجيش حجازية وكانت الرتب الوسيطة والقاعدة خليطاً يغلب عليه النجديون، وخلال سنوات أُقصي الحجازيون في الهرم الأعلى، واحتلّ الجنوبيون الحلفاء الثانويون مواقع المراتب الدنيا. وحدث أمرٌ شبيه بذلك ـ وعلى مستوى أقل ـ في الجهاز الأمني، وقيل أن النجديين حاولوا تكرار الأمر على الصعيد الإعلامي والثقافي، ولكن قابلية الجنوب لذلك كانت متواضعة.

الفكرة التي نريد أن نوصلها هنا، هي أن النجديين من الناحية الفعلية أخذوا باستخدام (بعض) سكان الجنوب المتجانسين معهم مذهبياً في معاركهم الداخلية، وكانت المدرسة الوهابية رأس الحربة في المعركة في جانبها المذهبي، فقد كانت تبحث عن أتباع تخرج المذهب من وضع الأقلية التي يعيشها، وعن جنودٍ يطيعون أمر القيادة الدينية والسياسية والعسكرية النجدية.

الوهابيون يعملون في كل مناطق المملكة، فلم كانت الإستجابة من الجنوب واضحة؟ ولم نرَ تقسيماً عجيباً للعمل: فالشيخ النجدي يؤصّل للعنف ويحرّض عليه، ولكن المنفذين والأيادي المستخدمة في كثير منها جنوبية؟ والسؤال الأهم في كل هذا، لماذا لم يتم التعامل مع الفرد الجنوبي الوهابي على قدم المساواة مع الوهابي النجدي، فشيوخ الجنوب أدنى مرتبة، وموظفيهم كذلك، وعسكرييهم؟ إن الإنتماء للمذهب الوهابي من خارج الدائرة النجدية لا يرفع الفرد الى مستوى المساواة كما تفرضها العقيدة الدينية، لأن المذهب في أصوله وقيادته نجدي، وشحنة المناطقية فيه طغت على جانب عالمية الإسلام، في حين أن الجنوبي يرى عالمية الإسلام، ولم يتنبّه الى نجدية المذهب. هل أوضحنا الأمر؟ أو بعضاً منه؟ ربما!



انفجارات الرياض: هل تتكرر مرة أخرى

لحجج الخصم من ذات المدرسة.

العنف لم يكن حالة استثنائية في المملكة منذ تأسيسها. وكان يعالج بالإستئصال الأمني دون المساس بالقاعدة الفكرية التي نشأ منها ودون المساس بمؤسساته وهيئاته. ضرب الإخوان وبقي الفكر وبقي العلماء على ذات المنهج. كان المهم معالجة الإنشقاق السياسي المتأتي من المنهج، دون المساس بالمنهج نفسه. وفي الستينات وقع نفس الشيء حين قامت مجموعة بمحاصرة مبنى التلفزيون. وفي أحداث الحرم جرى استئصال جماعة جهيمان قتلاً في المسجد الحرام بالطائرات والدبابات والقوات الأجنبية، ولكن بقي الفكر سليماً، بل لم يمسّ المروجون والمحرّضون كالشيخ أبو بكر الجزائري، بأي أذى، وهكذا. وبعد الغزو العراقي للكويت، وضع المتطرفون في السجون على أمل أن يصبحوا حمائم، ففشت دعوات العنف في غياب كل من المؤسسة الدينية ومن يسمون اليوم برموز الصحوة، ولم تتم هذه المرة كما في السابق معالجة الأفكار والقناعات والتوجهات الدينية المتطرفة. وأخيراً تمت معالجة مشكلة العائدين من أفغانستان بالعنف والقسوة والشك غير المبرر، في حين أنهم جميعاً نتاج سياسة الحكومة الخاطئة، فتوالت التفجيرات منذ عام ١٩٩٥ وحتى اليوم. وإذا قدّر لنا أن نستقرئ المستقبل، فنحن ـ وضمن الظروف الحالية ـ لا نرى أن الحكومة ومن خلال قراءتنا لمسلكها وتاريخها ستغير من نهجها، فقد تضرب بيد من حديد كما يقول وزير الداخلية، ولكنها لن تمس جوهر الأزمة. بيد أن هذه المرّة لن يمرّ العنف بدون عنف مضاد، بعكس حركات العنف السابقة التي كانت رحى المعركة فيها مختلفة في التكتيكات والإستراتيجيات.

العنف كان الحلقة الأخيرة من سياسة دعم التطرّف الفكري الذي نشأ عليه مجتمعنا وتربّى. فالتطرّف كان حاضراً في كل زاوية من حياتنا: في العمل والمدرسة والجامع والجامعة والشارع والكتاب والإذاعة والتلفاز والجريدة وغيرها. وقد لعبت الظروف الإقتصادية أحياناً عامل تأجيل لإنفجاره على شكل عنف أعمى. أيضاً أدّت تنازلات الدولة المستمرة الى استشراء الفكر وتوسّعه أفقياً وعمودياً، بدل أن ينفجر بوجهها، ولكن كان لا بدّ له أن ينفجر يوماً ما مهما طال التأجيل، وقد كان انفجاره عنيفاً مدوياً نظراً للمخزون الهائل من البارود.

توفرت الظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية والنفسية، واجتمعت أخطاء السلطة، والفكر المتطرّف، والخبرة القتالية، ومبررات الفاقة، وحالة الانكسار النفسي التي أصابت المجتمع لتفتح صفحة جديدة من تاريخ المملكة الحديث وقد تكون صفحة دامية، وقد تقضي عليها.

وخلاصة القول، فإن العنف الوهابي حتمي، لطبيعة الفكر التكفيري الجاهز للتطبيق كبرنامج عمل، ولتوفر المناخ السياسي الداعم له مالياً وشرعنته سياسياً. نحن أمام مرحلة عنف قد لا تنته سريعاً، وقد تتخذ لها أهدافاً متعددة، في حين أن الإصلاح غير متوقع لأنه يفترض بعض التنازلات من العائلة المالكة ليست حتى الوقت الحاضر في وارد تقديمها.

تقرير

في مذكرة لهيومن رايتس ووتش الى ولي العهد السعودي مطالبة بمراقبة الإنتهاكات

لا مكافحة للإرهاب بدون الإصلاحات السياسية والقانونية

قالت منظمة هيومن رايتس ووتش في ٢٠٠٣/٥/٢٨ إن الحكومة السعودية وبعد مرور عام على إدخال إصلاحات في نظام العدالة الجنائية أصبح لزاماً عليها أن تكشف على الملأ ما اتخذته من خطوات ملموسة من أجل الارتقاء بالضمانات الواقية من الانتهاكات المستمرة منذ أمد طويل. وقد بدأ سريان نظام الإجراءات الجزائية الجديد بالمملكة في مايو ٢٠٠٢. مذكرة منظمة هيومن رايتس ووتش إلى ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز (أرسلت في ٦ مايو) كانت تحت عنوان: (نظام الإجراءات الجزائية في المملكة العربية السعودية: توصيات لحماية حقوق الإنسان الأساسية). جدير بالذكر أن الحكومة السعودية لا تسمح لمنظمات حقوق الإنسان الدولية بإجراء تحقيقات في المملكة، الأمر الذي يحول دون إجراء تقييم مستقل لتنفيذ هذا القانون في الواقع الفعلي.

في المذكرة المرسلة الى ولي العهد، حددت المنظمة ثمانية مجالات تتعرض فيها حقوق المشتبه فيهم جنائيا للانتهاك المنهجي، ومن بينها: استخدام التعذيب والتهديدات للحصول على الاعترافات، وعدم استجابة القضاء للمزاعم الفردية الخاصة بسوء المعاملة، وعقد المحاكمات بدون إخطار محامي الدفاع أو مشاركتهم. رغم أن القانون الحكومي الجديد يتضمن حظر استخدم التعذيب والمعاملة المهينة، كما يعترف بحق المشتبه فيه في حضور محام عنه في أثناء التحقيقات والمحاكمات الجنائية.

وقال هاني مجلي، المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بمنظمة هيومن رايتس ووتش: (إن نظام الإجراءات الجزائية السعودي الجديد يتضمن بعض التحسينات الهامة، ولكن ليس من الواضح ما إذا كانت هذه التحسينات تطبّق فعلا أم لا. ولذلك يجب على الحكومة السعودية أن تجيب على بعض التساؤلات الأساسية حول كيفية سير نظام العدالة الآن).

وكانت الحكومة السعودية قد سمحت لأول مرة في يناير/كانون الثاني ٢٠٠٣ لوفد رسمي من منظمة هيومن رايتس ووتش بزيارة المملكة، حيث كان إصلاح نظام العدالة الجنائية من الموضوعات الأساسية للمباحثات بين الوفد والوزراء السعوديين وغيرهم من كبار المسؤولين بالمملكة.

وفي مذكرتها إلى ولي العهد السعودي الأمير عبد الله، انتقدت المنظمة أسلوب احتجاز المشتبه فيهم لمدد طويلة دون السماح لهم بالاتصال بأحد خارج المعتقل، بينما يقوم رجال المباحث في وزارة الداخلية عادة بالتحقيق معهم بصورة تنطوي على سوء المعاملة وغيرها من الانتهاكات، ودعت المنظمة إلى السماح للمعتقلين بالاتصال فورا بمحاميهم وأفراد أسرهم. كما سلطت هيومن رايتس ووتش الضوء على ما تقوم به وزارة الداخلية من إرغام المعتقلين قبل الإفراج عنهم على توقيع أقوال تفيد أنهم لم يتعرضوا للمعاملة السيئة، ويتعهدون فيها بعدم البوح

المعتقلون مؤخراً على خلفية أحداث العنف الأخيرة يجب أن تصان حقوقهم وتوفر لهم كامل الضمانات القانونية

بأي تفاصيل عن عملية التحقيق. ودعت هيومن رايتس ووتش إلى التحقيق في هذه الممارسات ووضع حد لها على الفور.

كما أوصت هيومن رايتس ووتش بإصدار تعليمات لجميع القضاة في المملكة بضرورة الأمر بإجراء التحقيقات اللازمة متى وردت في أثناء المحاكمات ادعاءات جديرة بالتصديق من جانب المشتبه فيهم عن استخدام التعذيب أو غيره من صنوف الانتهاكات لإرغامهم على الاعتراف، وذلك وفق مقتضيات اتفاقية مناهضة التعذيب، وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة. وجدير بالذكر أن السعودية أصبحت طرفا في هذه الاتفاقية في عام ١٩٩٧، وأن أحكامها يمكن الاستشهاد بها أمام المحاكم السعودية.

وأضافت المنظمة بأن المحاكمات المغلقة يجب أن تكون هي الاستثناء، لا القاعدة في المملكة، وإن الأطراف المعنية - أي الأسر ومحامي الدفاع وغيرهم من الوكلاء القانونيين والمسؤولين القنصليين - يجب إبلاغها دائما بمكان المحاكمات وتواريخها. ولا يجب بأي حال من الأحوال منع الوكلاء القانونيين من حضور أي محاكمة وتمثيل موكليهم فيها.

وتشير مذكرة المنظمة إلى شكوى الحكومة الكندية في أبريل ٢٠٠٢ بشأن إجراءات المحاكمة والاستئناف الخاصة بمواطنها ويليام سمبسون، وهو أحد الأجانب السبعة المتهمين بتنفيذ تفجيرات ضد مواطنين غربيين في عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠١. وقالت وزارة الخارجية الكندية إنها علمت (أن المحاكمة عقدت سراً، بل وأن محامي سمبسون لم يبلغ بها، كما لم يكن هناك وكيل قانوني يمثل السيد سمبسون في الاستئنافين التاليين أيضا. وقد أكدت لنا السلطات السعودية أن السيد سمبسون سوف يتسنى له الاستعانة بوكيل قانوني، ولم يكن هناك ما يوحي بأن المحاكمات ستجرى سراً). وبعد مضي ثلاثة أشهر أخرى، حصلت السلطات الكندية على إخطار رسمي من الحكومة السعودية بأن سمبسون قد حوكم سراً وحُكم عليه بالإعدام.

وقال مجلي: (إن الشفافية في نظام العدالة الجنائية معيار هام من معايير الإصلاح، وعلى السلطات السعودية أن توضح كيف يمكن للعامة أن يحصلوا على معلومات عن إجراءات المحاكمات الجنائية والأحكام القضائية).

وتنص المادة ١٨٢ من نظام الإجراءات الجزائية السعودي الجديد على وجوب تلاوة حكم المحكمة في جلسة علنية حتى ولو كانت الدعوى نظرت في جلسات سرية؛ وتشير المادة إلى أن الجمهور من حقه الاطلاع على المعلومات وثيقة الصلة بجميع المحاكمات، بما في ذلك (إسم المحكمة التي أصدرته، وتاريخ إصداره، وأسماء القضاة، وأسماء الخصوم، والجريمة موضوع الدعوى، وملخص لما قدمه الخصوم من طلبات، أو دفاع، وما اُستُنِد عليه من الأدلة والحجج، ومراحل الدعوى، ثم أسباب الحكم ونصه ومستنده الشرعي، وهل صدر

بالإجماع، أو بالأغلبية).

كما أعربت منظمة هيومن رايتس ووتش أيضا عن قلقها بشأن مدى توافر المساعدة القانونية للآلاف من الأشخاص المعتقلين حاليا ريثما تتم محاكمتهم في المحاكم السعودية. ففي يناير ٢٠٠٣ أخبر مدير مصلحة السجون التابعة لوزارة الداخلية، اللواء د. علي بن حسين الحارثي، منظمة هيومن رايتس ووتش أنه يوجد حوالي ١٣ ألفاً من الرجال والنساء في السجون السعودية، لم تصدر ضدهم أحكام بالإدانة بعد، ومنهم حوالي ستة آلاف من العمال المهاجرين وغيرهم من الأجانب.

وينص نظام الإجراءات الجزائية السعودي على حق كل متهم في الاستعانة بالمساعدة القانونية في أثناء التحقيق والمحاكمة، على الرغم من أنه لا يضمن صراحة حق الاستعانة بمحام لمن لا يقدرون على تحمل أتعاب المحاماة. وقالت المنظمة إن على الحكومة السعودية توضيح الخطوات التي اتخذتها ضماناً لهذا الحق.

لا بدّ من الإصلاحات لمكافحة الإرهاب

على صعيد آخر، قالت المنظمة في بيان نشر في ٢٠٠٣/٥/٢١ إن الحملة الأخيرة لمكافحة الإرهاب تستوجب من الحكومة السعودية التعجيل بالإصلاحات القانونية والسياسية التي تعد بها منذ أمدٍ طويل.

وكان وفد من المنظمة الذي زار السعودية بدعوة رسمية في يناير الماضي، قد تلقى تأكيدات من وزراء وكبار المسؤولين الحكوميين وبشكل متكرر بأن الحكومة ماضية في إجراء إصلاحات قانونية وسياسية كبرى؛ وتدليلاً على ذلك، استشهد المسؤولون (بنظام الإجراءات الجزائية) الجديد الذي يمنح المعتقلين والسجناء مزيداً من الحقوق، وبالجهود المبذولة لإعداد المزيد من النساء للمشاركة في سوق العمل، وتشكيل لجان عمالية في الشركات الكبيرة، وتوفير حماية أكبر للعاملين المهاجرين. وقال مسؤولون سعوديون إن الشرطة الدينية (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) بدأت هي الأخرى بالجنوح إلى الاعتدال في أنشطتها؛ بيد أنهم لم يعترفوا بأن تنفيذ القوانين، ولا سيما القانون الجديد، ما زال يمثل مشكلة.

وقال هاني مجلي، المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط: (إن هذا النوع من الإصلاح القانوني الذي يعد المسؤولون السعوديون بإجرائه منذ حين تتعاظم أهميته في سياق حملة كبرى من الإجراءات الأمنية الصارمة؛ ومثل هذه الإجراءات الأشد صرامة وحدها ليست حلاً طويل الأجل). وحث مجلي الحكومة السعودية على مكافحة خطر الإرهاب لا من خلال تدابير تنفيذ القانون فحسب، بل أيضاً بمعالجة العوامل التي تولد الشعور بالعزلة



عنف الدولة ينقلب الى عنف مضاد

والاغتراب وتفرز العنف، بما في ذلك النظام السياسي الذي لا يسمح بهامش للمعارضة السلمية.

وقال مجلي إن: (مبادرات مكافحة الإرهاب الأمريكية السعودية، التي تمت صياغتها في إطار مجموعة عمل مشتركة في العام الماضي، يجب أن تشمل تحسينات محددة على صعيد حقوق الإنسان لتقليص قدرة العناصر المتشددة التي تلجأ إلى العنف على اجتذاب وتجنيد عناصر جديدة في صفوفها). وحث مجلي الحكومة السعودية على وضع جدول أعمال وإطار زمني للإصلاحات.

وجدير بالذكر أن المرسوم الملكي الصادر عام ٢٠٠١، الذي ينظم ممارسة المحاماة، و(نظام الإجراءات الجزائية) الذي تمت الموافقة عليه عام ٢٠٠٢، يكفلان حق المتهم في الاستعانة بمحامٍ أثناء التحقيق والمحاكمة؛ وفي وقت سابق من شهر مايو، أعلنت الحكومة السعودية أنه يجري إنشاء منظمات أهلية لحقوق الإنسان ولجنة وطنية مستقلة معنية بحقوق الإنسان. وفي ١٧ مايو من مايو، تعهد العاهل السعودي الملك فهد بن عبد العزيز، في الكلمة التي وجهها في افتتاح أعمال مجلس الشورى السعودي، المؤلف من ١٢٠ عضواً جميعهم معيَّنون – تعهد بأن تستمر الحكومة في طريق الإصلاح السياسي والإداري، والعمل على مراجعة الأنظمة والتعليمات؛ ولم يورد الملك فهد تفصيلات بهذا الشأن، ولكنه أردف قائلاً إن الحكومة ستعمل على إحكام الرقابة على أداء الأجهزة الحكومية وتوسيع نطاق المشاركة الشعبية وفتح آفاق أوسع لعمل المرأة في إطار تعاليم الشريعة.

وما برح بعض المواطنين السعوديين يطالبون بإجراء إصلاحات في البلاد؛ فقد قُدِّمت عريضة وقع عليها ١٠٤ مواطنين سعوديين إلى ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، طالبوا فيها الحكومة بالقيام بمبادرات توحي بأنها (جادة بشأن الإصلاح)؛ وحثت العريضة الحكومة على إصدار عفو عن جميع السجناء السياسيين، ووضع حد للممارسات التعسفية التي تفرض قيوداً على النقاش العلني، مثل حظر السفر، والتهديد بالسجن، والفصل من الوظائف، وحظر المطبوعات.

وشملت التوصيات الأخرى إنشاء مجلس تشريعي وطني منتخب، وسلطة قضائية مستقلة، نظرياً وعملياً، ووضع ضمانات تكفل حرية التعبير، وحرية التجمع، وحرية تكوين الجمعيات والانتماء إليها، ومنح المرأة دوراً أكبر. ودعا الموقعون على العريضة إلى حوار وطني بين الحكام والمحكومين، يقوم على أساس إنهاء ثقافة الاستبعاد. كما دعت العريضة إلى نشر ثقافة حقوق الإنسان، والترخيص القانوني للمؤسسات المدنية المستقلة بكافة أنواعها.

من جهتها حثت منظمة هيومن رايتس ووتش الحكومة على عدم وضع المشتبه فيهم، المعتقلين في إطار حملة مكافحة الإرهاب، رهن الاحتجاز الطويل الأمد في عزلة عن العالم الخارجي، أو تعذيبهم لانتزاع معلومات أو اعترافات منهم. وإذا ما تم تحريك الدعوى الجنائية ضد المتشددين المشتبه فيهم وتقديمهم للمحاكمة، فيجب أن تُتاح لهم كافة ضمانات الإنصاف القانوني التي يحق لهم الحصول عليها بموجب القانون السعودي والقانون الدولي لحقوق الإنسان، بما في ذلك حقهم في الاستعانة بمحامين، وفي تلقي محاكمة عادلة.

الإنتقال من الخرج الى العديد

هل تتكسر روابط واشنطن والرياض؟

في خطوة أسرت نقّاد السياسة الخارجية الأميركية الهزيلة، قررت القوة الجوية التابعة للولايات المتحدة نقل مركز كافة عملياتها الرئيسية في الشرق الأوسط من السعودية الى قطر. هذه الخطوة ساعدت العائلة المالكة المتورطة في مواجهات أمنية محلية على قاعدة العلاقة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة، فوجود القوات الأميركية بصورة ظاهرة يضعف، على حد قول مسؤول أميركي لصحيفة نيويورك تايمز، العائلة المالكة أكثر من كونه يقوّيها لأن هذا الحضور من شأنه إثارة العناصر المسلّحة داخل البلد.

ولكن السؤال ماذا عن هذا الحضور العسكري الأميركي الظاهري أي أين يكمن الخطأ فيه؟ فبحسب أسس ومبادىء المنشآت العسكرية، فإن التواجد العسكري في قاعدة الأمير سلطان الجوية تعتبر أقل بروزاً وظهوراً والأقل من حيث عدم التحمل على مستوى العالم. فالطيارون العاملون في هذه القاعدة مقيّدون بصورة أو بأخرى بحدود عملهم داخل القاعدة، أي أنهم ممنوعون حتى من أخذ الصور التي يمكن أن تعرِّف بالمنطقة، خوفاً من أن مثل هذه الصور قد تذكر بوجود الكفّار على التراب السعودي بما قد يؤدي الى إلهاب مشاعر السكان المحليين.

ليس هناك ما يمكن الوقوف عليه كحقيقة حيال المدعى المتداول بأن الوجود العسكري يعتبر عملاً عدائياً لأنه قريب من المدن المقدسة، مكة المكرمة والمدينة المنورة، فقاعدة القوات الجوية الأميركية تفصلها جبال، وصحراء وعدة مئات أميال من المدن المقدسة. فالطريقة الوحيدة لإثبات أن التواجد العسكري الأميركي في الأرض المقدسة هي الاعتراف بالوحدة المناطقية للسعودية، نقطة يثيرها المتشددون لتأكيد مزاعمهم، على أساس عدم اعتقادهم بوجود الدول القومية من حيث المبدأ. وكيما تتبنى الاعتقاد القائل بأن التواجد العسكري الأميركي في السعودية يعد مخالفة دينية كبيرة، لا بد أن تكون متشدداً.

على أية حال، كانت واحدة من أهم الآمال للحرب على العراق هو السماح أخيراً للولايات المتحدة بتكسير روابطها مع السعودية، في سياق مسعى لازالة ما يعتقد بأنه السبب المباشر لمعاداة المتشددين للولايات المتحدة. فهذا الهدف يعتبر مغرياً هذه الأيام، حين تتكاثر التصريحات من دوائر رسمية وشبه رسمية في الولايات المتحدة تنادي بفك الارتباط مع العائلة المالكة بكل ما فيها من فساد وشمولية. فالعلاقة معها لم تعد ضرورية بعد أن فتحت دول المنطقة الى جانب سقوط العراق أراضيها لاستقبال القوات الأميركية وبدون شروط أو قيود.

ولكن السؤال: هل أن تلك الخطوة، أي نقل العمليات الجوية الأميركية من السعودية الى قطر، سيفضي في وقت لاحق الى نهاية العلاقات بين الدولتين؟. ثمة رأي يقول بأن التحالف الاستراتيجي بين واشنطن والعائلة المالكة هو أكبر مما كان يتصور، وسيبقى حتى بعد إزالة النظام العراقي عسكرياً. ولذلك، فإنه اذا كان عزل الولايات المتحدة نفسها عن العائلة السعودية الفاسدة بطبعها لم يكن منفعة مباشرة من الحرب على العراق، فماذا عن جحفل المتشددين الذين ورثتهم واشنطن، والذين يبدو ظل تشددهم من نوع مختلف، أو على الأقل أكثر سطوعاً من ذلك الذي لدى العائلة المالكة؟

الحمقى وحدهم يصدقون بأن مستقبل العراق سيكون هادئاً حسب ما كتب بيتر هاميل بعد

> **قادة البنتاغون يرفضون إيلاء أي دور للرياض فيما يتصل بأوضاع المنطقة سيما في العراق**

مشاهدته مناظر للعزاء الدامي في كربلاء. لقد تساءل كثيرون عن ضعف خبراء الأصولية الاسلامية في تقديم رؤية واقعية لما أنتجته أوضاع المنطقة، وتبين أن مراكز العنف وثقافته قد تبدّلت بصورة دراماتيكية وغير متوقعة، من لبنان الى افغانستان الى السعودية وربما العراق، ولعل هناك مناطق أخرى لم تخضع للاختبار والفحص.

وكما الحال في العراق، فإن الخلاف بين منظّري وزارة الخارجية من جهة واستراتيجيي وزارة الدفاع قد عكس نفسه أيضاً على قرار نقل القوات الأميركية من الرياض، فرجال البنتاغون يرون بأن الليونة التي تبديها واشنطن لحكام الرياض قد شجّعت الأخيرة على الحياد عن خط المصالح المشتركة وتبني مواقف مراوغة قد تسببت بكوارث على الولايات المتحدة، ولذلك فقادة البنتاغون يرفضون ايلاء أي دور للرياض فيما يتصل بأوضاع المنطقة سيما في العراق، حيث يرفض رامسفيلد وفريقه الاصغاء لمطالب



وجود عسكري أميركي في السعودية

الرياض وعواصم عربية أخرى حيال صيغة حكم مقترحة، وهي مطالب قبلت الخارجية الأميركية التعاطي معها والقبول بالتفاوض حولها. الخارجية الأميركية التي تحمّل أحياناً مسؤولية الفشل في تحديد طبيعة التوجهات الخفية لدى الرياض، وما بدا بعد ذلك عملياً في الضربات العسكرية العنيفة التي أصابت الولايات المتحدة في عقر دارها وفي المناطق التي يتواجد فيها رعايا أميركيون ومصالح أميركية، وهو ما أهّل من الناحية العملية وزارة الدفاع للعب دور مزدوج أحياناً عسكري وسياسي، وهو ما يثير حساسية لدى المسؤولين في وزارة الخارجية، الذين يرون بأنهم باتوا يخضعون لاملاءات الدفاع التي حصدت انتصارين عسكريين ساحقين في أفغانستان والعراق وبالتالي يشعر المنتسبون إليها بأنهم أكثر استحقاقاً كيما يحصدوا الربح السياسي أيضاً.

البنتاغون قرر نقل قواته من السعودية الى قطر، وقد حاولت الخارجية الأميركية تخفيف ردود الفعل على قرار استراتيجي كهذا، ولذلك قام وزير الخارجية كولين باول بزيارة الى الرياض، ولكن من سوء طالع الوزير الأميركي أن استقباله في الرياض كان مدوّياً بأربعة انفجارات هائلة وقد يكون ذلك سبباً كافياً لفشل أي حديث عن تهدئة بين واشنطن والرياض، فقد أثبت تنظيم القاعدة بأنهم هنا، في قلب المملكة.

ومهما يكن، فإن ما يجب التأكيد عليه مجدداً أن الروابط بين واشنطن والرياض لن تكون منذ احتلال العراق مستقرة، بل هي مرشحة لأن تشهد تبدّلات سريعة، وأن عامل النفط وحده القادر على تحقيق بعض الاستقرار لها، ما لم يشهد هذا العامل تبدلاً هو الآخر. ولكن ما يقال في واشنطن هو أن العلاقة مع الرياض لم تعد على ما يرام وأنها تمثل عبئاً أكثر من كونها مكسباً وربحاً.

بين الدولة المركزية والقيادة الموحدة:

هل يعجل صراع الأمراء الإصلاحات أم العكس؟

إبتداءً ليس جوهر الخلاف بين الأمراء الكبار ـ والذي نشاهده بشكل شبه علني عبر التصريحات والمواقف المتناقضة ـ يدور حول الإصلاحات السياسية التي تتطلبها الأوضاع الحالية في المملكة. فهو خلاف ـ بل هو صراع ـ دائر حول تقاسم النفوذ والحصص والسيطرة على مقاليد الدولة وأجهزتها ومؤسساتها.

وابتداءً أيضاً، ليس الخلاف بين الأمراء الكبار وليد اليوم، رغم أن تدهور الوضع الداخلي سياسياً واقتصادياً وأمنياً ساهم في بلورته وظهوره على السطح بشيء من العلنية. الخلاف الحالي بين الأمير عبد الله ولي العهد من جهة والسديريين، ممثلين في الأمراء نايف وسلطان وسلمان، قديم ولكنه تصاعد بشكل كبير بسبب أساسي هو غياب المركزية التي يمثلها الملك فهد بعد مرضه عام ١٩٩٦. فالملك فهد وبما لديه من سلطات وصلاحيات واسعة كان قادراً على فرض الإنسجام بين الأجهزة المختلفة والرجال المختلفين. وبغيابه لم يعترف السديريون بالأمير عبد الله رجلاً أولاً، ورغم أن ولي العهد استطاع أن يكسب أرضاً بحكم ولايته للعهد عززت من حصته في السلطة السياسية، إلاّ أنها لم تكن كافية لفرض رؤيته السياسية والإدارية على الآخرين.

أدى غياب الملك وعجزه عن أداء صلاحياته، الى تقاسم نفوذه بين الطرفين المختلفين، حيث تفتت سلطة القرار وتشرذمت الإرادة السياسية لنظام الحكم بمجمله، وكل هذا نتج بسبب ما يمكن اعتباره تساوي النفوذ والقوى بين الجبهتين المختلفتين.

بعكس ما يبدو في ظاهره من حقيقة أن توازن صناعة القرار وتعدده أمرٌ مهم، إلا أنه في الحالة السعودية أوقع البلاد كلها في عجز وشلل تام، ليس فقط فيما يتعلق بالإصلاحات السياسية، بل في كل برامج الدولة، حيث أصبحت الأجهزة الحكومية مجرد أجهزة (تصريف أعمال) لا صانعة للإستراتيجيات، ولا قادرة على التفكير بشكل استراتيجي، او الفعل بشكل منسجم.

لا يريد الجناح السديري الإصلاحات، في ظل التنازع القائم. فقادة هذا الجناح لا يريدون أن يبدو الأمير عبد الله كفارس التغيير، بحيث يكسب أرضاً جديدة ومواقع متقدمة في الجهاز الحكومي وفي الوجدان الشعبي. وحتى لو كانت قناعتهم فعلاً باتجاه التغيير والإصلاح، فإنهم لا يريدون أن يبدو تابعين ملتحقين لولي العهد، بحيث تجعله الإصلاحات بطلاً قومياً دونهم. ولكن لو كان الملك فهد في كامل وعيه وقدراته، فلربما حسم الأمر بنفسه دون أن يهتم بآراء الآخرين، بغض النظر في أي اتجاه يكون الحسم: مع الإصلاحات السياسية أو ضدها. في هذه الحال، ستكون مخاوف الجناح السديري في غير محلها، فالإصلاحات تنعكس بإيجابياتها على الذات وليس في صالح طرف آخر.

من هذه الزاوية يمكن النظر الى موضوع الإصلاحات في المملكة. بيد أن هناك رؤية أخرى مبنيّة على حقيقة أن الإصلاحات السياسية في الغالب لا تأتِ ولن تأتِ عبر قناعات الأمراء بها، بل هي الى الفرض (الشعبي والخارجي من جانب والتسليم بأن لا مفرّ منها من جانب الأمراء) أقرب. ولذا يمكن النظر الى الخلافات داخل العائلة المالكة وما تفرزه من عجز حكومي في حل المشكلات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والأمنية، وكذلك ما جرى من تفجيرات الرياض والإضطراب الأمني الشديد الذي تلاها، ينظر إليه على أنه إفقاد للعائلة المالكة من ذخائرها وذرائعها، وتجربة لا بدّ أن تمرّ بها لكي تصل الى القناعة النهائية بأنّ الإصلاحات أمرٌ حتمي، أو الإنهيار للدولة ولسلطة العائلة المالكة.

عجز الملك فهد دون غيابه، فتت السلطة، وأصاب الدولة بالشلل

أصحاب هذا الرأي يعتقدون أن الحكومات المفككة أقرب الى التحول الديمقراطي من جهة قصورها وضعفها واختلاف مراكز القرار فيها. ويضيفون بأن الدول المركزية بيروقراطياً وسياسياً هي الأبعد عن التغيير والإصلاح، بل هي قرينة للديكتاتورية والإستفراد بالرأي والقرار أينما وجدت.

السؤال أين يمكن تصنيف دائرة الحكم في المملكة؟ من الناحية الظاهرية فإنها تتمتع بنظام شديد المركزية، ولكن الحديث لا يتعلق بنوعية الإدارة، بقدر ما يتعلق بصناعة القرار، وهذه أضيق من تلك. والمملكة منذ عجز الملك فهد لم تتغير المركزية فيها إدارياً، ولكنها أصبحت متعددة القرار نظراً لتعدد مراكز القوى. في هذه الحالة قد تكون مركزية القرار ضرورة ملحّة لإنتشال جهاز الدولة من الشلل وعدم الفاعلية، ولكنه قد لا يؤدي بالضرورة الى تعجيل في إتخاذ قرار الإصلاح. ومركزية صناعة القرار تؤدي الى حسم وسرعة إتخاذه، وليس تحديد إتجاهاته.



فهد: الدولة المقعدة

ما يمكن استخلاصه هنا أمران:

١ ـ لا شك أن الدولة السعودية شديدة المركزية، وهذا في مجمله لا يخدم التوجّه نحو الديمقراطية والإصلاح السياسي.

٢ ـ إن المركزية الإدارية لا تعني بالضرورة مركزية صناعة القرار في شخص أو جماعة منسجمة، حزبية كانت أو عشائرية؛ فرغم أنها عنت ذلك بالفعل ـ حتى مرض الملك فهد الأخير ـ إلا أنها في الوقت الحالي متعددة، وهذا قد يؤدي في بعض الدول كالمملكة الى التلكؤ في اتخاذ القرار الإستراتيجي، لعدم حيازته للإجماع المطلوب بين صنّاعه.

٣ ـ إذا افترضنا جدلاً أن الإصلاحات السياسية تأتي من فوق، أي بقرار من العائلة المالكة، وهو ما لا نؤمن به الى الحدّ الذي يعتقد به أصحابه.. فإن الإصلاحات السياسية قد لا تأتي إذا كانت مراكز صناعة القرار (مختلفة ومتساوية في القوة السياسية ومتعارضة في الإتجاهات) كما هي الحال في المملكة اليوم، نظراً لتعثر تحقيق الإجماع. كما أنها لا تأتي حين يكون القرار مركزياً مضاداً للإصلاح، كما هي الحالة قبل مرض الملك فهد. وأيضاً لا يتحقق الإصلاح من أعلى إذا كان القرار السياسي بهذا الإتجاه لا يحوز إلاّ على رضا الطرف الأضعف فحسب. وبذا تكون المراهنة شبه عقيمة على إصلاح اختياري، ولكنه قد يأتي في صورة أخرى ـ كنصف تنازل ـ إذا تصاعدت الضغوط الداخلية والخارجية وانفجرت الأزمات، وهي كثيرة قادمة.

حملة العلاقات العامة أخفت أعشاش العنف

تفجيرات الرياض ورسالة القاعدة

التفجيرات الانتحارية في الرياض في الثاني عشر من مايو الماضي، والتي خلّفت عشرات القتلى والجرحى، لم تكن مفاجئة، فكل التوقعات الرسمية والشعبية تجمع على أن ثمة عملاً انفجارياً وبحجم كبير سيقع في هذه الديار. وأن ثمة بالتحديد دليلاً متراكماً على أن تنظيم القاعدة كان يعد لهجوم واسع النطاق ضد المصالح والغربية في السعودية، بعد أن أصبحت الأخيرة إحدى المناطق المستهدفة من قبل التنظيم بكونها ملجئاً له بعد الانتصار العسكري الأميركي على طالبان في أفغانستان.

فقد تحوّلت الجبال في منطقة الجنوب الغربي من السعودية أي بالقرب من الحدود الشمالية لليمن مخبئاً مثالياً بالنسبة لأفراد تنظيم القاعدة، على أساس سهولة الدخول والخروج من هذه الحدود التي تعتبر أطول حدود للسعودية مع جاراتها. فوعورة الطرق المؤدية اليها وسهولة الاختباء بها فإن هذه المنطقة تشبه الى حد كبير المخابىء الجبلية على طول الحدود الافغانية الباكستانية وهكذا المخابىء على طول الحدود العراقية الايرانية التي كان يختبىء فيها أفراد جماعة أنصار الاسلام في كردستان، وهي مناطق من الصعب الوصول اليها وهكذا القتال فيها. وتنقل مصادر عسكرية أميركية بأن طائرة استطلاع أميركية بدون طيار تمكنت في نوفمبر عام ٢٠٠٢ من التقاط صور لعربة بلوائح سعودية خاصة يقودها عضو قيادي في تنظيم القاعدة في هذه المنطقة.

لعل من الجدير بالالتفات الى حقيقة أن السلطات اليمنية، وفي السياق الدور الذي تعهدت للحكومة الأميركية بلعبه في مشروع الحرب على الارهاب، كانت قد أكدّت مراراً من خلال الصحافة العربية بأن السعودية بدأت تتحول في عام ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣ الى مركز جديد للقاعدة. ويشار هنا الى ماحدث في أكتوبر ٢٠٠٠ حين أرسلت القاعدة مركباً محمّلاً بالمتفجرات عن طريق ميناء جيزان السعودي والذي تسبب في تمزيق المدمرة كول في عدن. يضاف الى ذلك أن كثيراً من المتهمين بالانتماء لتنظيم القاعدة والمطلوبين لدى السلطات الألمانية والولايات المتحدة قد ثبت أنهم لجأوا الى السعودية للاختباء.

إن السنوات الطويلة من التحريض ضد الغرب في النظام التعليمي الديني السعودي، لا بد أنها حوّلت السعودية الى أحد المراكز المساندة لتنظيم القاعدة والمتعاطفة معها، ولا بد أنها حوّلت السعودية الى مخبىء ومكان يلجأ اليه كل المطاردين في العالم من أفراد تنظيم القاعدة والمتهمين بالضلوع في أعمال عنف ضد الغرب، ولعل بيانات وفتاوى بعض علماء الدين الوهابيين تقدّم أكثر من دليل على حجم التعاطف الكبير الذي يحظى به أفراد هذا التنظيم. فالشيخ الشعيبي والشيخ العلوان والشيخ الخالدي والشيخ ناصر الفهد والشيخ الجربوع وآخرون يمثلون نماذج علنية مؤيدة لتنظيم القاعدة. في واقع الأمر، أصبح السعوديون منذ التسعينيات يمثلون النسبة الأعلى في تنظيم القاعدة، وفي أكتوبر عام ٢٠٠١ أمرت جهة استخبارية سعودية باجراء

لن تنجح محاولات تقليص العنف بدون تغيير حقيقي في التغذية الأيديولوجية التي توجد في خطاب القوى السلفية المعتدلة والمتطرفة معاً

تصويت سري بين السعوديين في أعمار ما بين ٢٥ و٤١ عاماً لقياس إتجاهات الرأي العام السعودي، وقد تركّز التصويت في منطقة نجد، فتبين أن ٩٥ بالمئة من المشاركين في التصويت أعربوا عن تأييدهم وموافقتهم لنشاط وقضية أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة.

إن ذلك يعيد للأذهان ما كان يتمسك به المسؤولون السعوديون وخلال شهور بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، حيث كان مسؤولو وزارة الداخلية وعلى رأسهم الأمير نايف، ينكرون بشدة وبطريقة تهكمية في أحيان كثيرة وجود أية خلايا لتنظيم القاعدة في المملكة، وكان الأمير نايف قد صرّح ساخراً ذات مرة بأنه لا توجد خلايا نائمة ولا مستيقظة داخل السعودية. على أن هذا الاسلوب في النفي بدا زيفه وأصبح مثيراً للسخرية، خصوصاً مع تواصل وتصاعد عمليات العنف في أرجاء متفرقة من المملكة، والتي كان فيها الدليل يتعزز بحضور متميز ونوعي لتنظيم القاعدة في مسرح العمليات، وهذا ما اضطر المسؤولون السعوديون للتنازل عن تأكيداتهم الصارمة والقاطعة الماضية والبوح بجرعات مخففة عن معلومات أخرى بوجود بعض خلايا القاعدة، دون التعرض الى ما اذا كانت نائمة أو مستيقظة. ففي يونيو ٢٠٠٢ أعلن مسؤولون سعوديون عن اعتقالات محدودة وتحقيقات مع عدد محدود من أعضاء تنظيم القاعدة. ولكن هذه الجرعة لم تكن مقنعة هي الأخرى في مقابل حجم النشاط الذي كان يقوم أفراد التنظيم وهكذا العمليات المتواصلة من الانفجارات الخفيفة والتي أشبه ما تكون بمنبّه خطير الى ما يمكن ان يخفيه التنظيم من مخططات مستقبلية.

وجاء التحوّل الدراماتيكي والخطير في منهج التعامل مع موضوع تنظيم القاعدة حين أخذت المواجهات بين رجال الأمن وشبكات العنف المسلّح تأخذ منحاً خطيراً ومتفجّراً، حيث لم يعد بإمكان الدولة وجهازها الأمني الا العمل على ضوء النهار وكشف الأوراق أمام الرأي العام. فقد بدأت الصورة بالتكشّف الى حد كبير حيث عثرت السلطات السعودية على مخزن كبير من الاسلحة والمتفجرات في بداية مايو ٢٠٠٣ ولكن هذه الصورة لم تكن كاملة، فثمة مخازن أخرى لم يتم الكشف عنها فضلاً عن القبض على أفراد التنظيم المسؤول عن تهريب هذه الاسلحة، وهو أمر تكرر مراراً في السعودية حيث فشلت أجهزة الأمن في القبض على الشبكات الارهابية الضالعة في أعمال العنف والتفجيرات الصغيرة ضد الأجانب، بما في ذلك تصريحات كبار الأمراء السعوديين الأخيرة والتي تجمع على أمر واحد وهو بالقبض على بعض المتورطين في تفجيرات الرياض لم تتأكد بعد من مصادر أخرى فضلاً عن أن دليلاً مادياً من قبل السلطات السعودية لم يقدّم بعد.

المثير في الأمر أن هناك نزوعاً متزايداً لدى جهاز الأمن ووزير الداخلية شخصياً وهو نزوع يراد زرعه لدى كبار المسؤولين في الدولة بما في ذلك ولي العهد نحو الفصل بين تفجيرات الرياض وربما تفجيرات أخرى سابقة ومتفرقة

في أرجـاء الـبـلاد وبين تـنـظـيم الـقـاعـدة، لما تفرضة الصلة بين الأمرين من التزامات أمنية وسياسية وربما قانونية على الجانب السعودي، وفي المقدمة الدور الذي يجب أن تضطلع به في الحرب على الارهاب وفي ملاحقة أفراد تنظيم القاعدة، ولذلك فهي تحاول اسقاط البعد الدولي لقضـيـة التفجيرات ومحاولة حصر تـأثيراتها وانـعـكـاسـاتـهـا ومسؤوليتها في حدود الداخل فـحسب. ولـكـن قـطـع الصـلـة بين الـتـفـجيرات وتـنـظـيم الـقـاعـدة يبدو غير عملي وغير مقنـع والسبب في التقنية العالية التي تستعملها هذه المجمـوعـات في تحقـيـق أغـراضـهـا وتـنـفـيـذ عملياتها المرسومة، بما يفوق قدرة أجهزة الأمن عـلـى اصـطـيـاد عـنـاصـرهـا أو الـكـشف عـن مخططـاتـهـا في وقت مبكر، وهذا بـلاشك يؤكد عـلـى ان هـذه المجمـوعـات لا يمكن أن تـكـون عشوائية أو تنتمي الى تنظيم ناشيء.

فقد نجح مهرّبو الأسلحة والمتفجرات في الـهـرب مـن قبضة رجال الأمن السعوديين في أغلب عـمـلـيـات المطـاردة الـتـي كـانت تنتهي بسقوط ضحايا من رجال الأمن، كما أن البنية الـتـنـظـيـمـيـة للقاعدة لم تتفكك بعد بل أكدّت الاحداث أن هذه البنية قوية ومتجذرة وممتدة داخل أجهزة السلطة وربما داخل جهاز الأمن السعـودي، بـالـنـظـر الى تـعـاطـف بعض الدوائر الـرسـمـيـة مـع الـقـاعـدةوكذلك بين أفراد الشعب السعودي. وهذا ما قد يشكل أساساً لفهم العجز السعودي عن القيام بعملية واسعة النطاق من أجل القضاء على تنظيم القاعدة داخل السعودية.

في واقـع الأمـر أن الـلـعـبـة المزدوجـة الـتي تقوم بها السلطات الأمنية من خلال إعادة خلط الأوراق مـن أجـل تـرتـيـبـهـا بـهـدف خـلـق تحـالـف ديني سياسي يكون رموز الشارع أساسه من أجل عزل وتحييد التيار المتطرف في المجتمع الديني السلفي وسيما المتعاطف منه مع تنظيم الـقـاعـدة لم يـحـقـق نجاحـاً كبيراً، فدخول رمـوز شـعـبـويـين مـثـل الشيـخ سـفـر الحوالي والشـيـخ سـلـمـان العـودة والشيـخ عـايض الـقـرني وآخرين ضـمـن الـتـحـالـف الديـني الجديد لم يكن سوى محاولـة بـائسـة تـقـوم بـه أجهزة الأمن ووزارة الداخلية من أجل تأخير لحظة المواجهة العنفية مع الدولة، لأن التغيير الحقيقي لم يطل التكوين الايديولوجي ومصادر الـتـغـذيـة الـثـقـافـيـة التي تشـحـن نـزعـات الـعـنـف لـدى عـمـوم الـتـيـار، فالاصطفافات الحالية واعادة ترتيب القوى لم يغيّر في خطاب هذه القوى (المعتدل إسمياً منها والمتطرف) طالما بقيت مفردات الخطاب نشطة وانـفـجـاريـة، ولذلك فـإن مـا يـعـتـقـد بـأنـه ازالـة لمبررات الـعـنـف لـيـس سـوى رضـوخـاً لشروطـهـا ليس الا.

فإعلان الولايات المتحدة في أعقاب الحرب عـلـى الـعـراق بـأن الـقـوات الأميركـيـة سـتـغـادر السعودية كان يفترض أن يزيل أهم المبررات الرئيسية لدى تنظيم القاعدة بشن الهجمات ضد



انفجارات الرياض: هل وصلت رسالة القاعدة لولاة الامر

واشـنـطـن والـغـرب عـمـومـاً، فـوجـود الـقـوات الأميركية في الأرض المقدسة كتجسيد لمعنى المشركين المتواجدين في الجزيرة العربية كما في الحديث الشريف قد انـتـهـى وبـالـتـالي فـإن الـكـلام عـن عـمـلـيـات ضـد المشركين من أجل أخراجهم من جزيرة العرب يبدو لغواً، ولكن مع ذلك فإن سلسلة تفجيرات عنيفة هزّت العاصمة الرياض ضد غربيين في المملكة وحصدت معها أرواحـاً بـريـئـة مـن الـعـرب والاجـانـب والاطـفـال والنساء، مما حمل على الاعتقاد بأن القاعدة قد تكون بهذا العمل قد أرادت القول بـأن الانسحاب الأميركي كقرار مستقل تم ليس كرد فعل على ضغوط معنوية او مادية ـ وتحديداً عسكرية قد يـؤدي الى اضـعـاف تـنـظـيم الـقـاعـدة واضـعـاف الـقـضـيـة الـتـي مـن أجـلـهـا حـصـل عـلـى الـدعـم المعنوي والشهرة معاً.

فـالـظـهـور بـأن الـقـاعـدة هـي الـتي فرضت بـالـقـوة عـلـى الـولايـات المتـحـدة الخروج مـن السعـوديـة بـفـعـل نيران إنفـجـاراتـهـا، يمنحـهـا القدرة المتميزة التي بها تكون مؤهلة لادعاء الانتصار، وبالتالي الحصول على الدعم المعنوي والشعبي في الشرق الأوسط. وفي كل الأحوال فـإن الـقـاعـدة مـلـتـزمـة بـالحرب ضد الـغـرب وإسـقـاطـه كـهـدف أسـاسـي، ولـيـس بـإخـراج الأميركيين من السعودية فحسب، وهذا يبدو واضـحـاً في الأدبـيـات الـديـنـيـة الـوهـابـيـة وفي أدبـيـات تـنـظـيم الـقـاعـدة، وبـخـاصـة الأدبـيـات الخاصة والحركية.

إن مـا حـصـل خـلال الـسـنـوات الماضـيـة أن السـعـوديـة وعبر ديـلـومـاسـيـة نـاجـحـة، وحملـة علاقات عامة داخل الولايات المتحدة بخاصة، وهـكـذا المـبـادرات المتـوالـيـة مـن قبل الـقـيـادة الـسـعـوديـة حـيـال قـضـايـا الشرق الأوسط وفي القلب منها عملية السلام بين العرب والكيان الاسـرائـيـلـي، استطاعت صرف الانتباه العام والاهتمام الأميركي والغربي عموماً عن دورها في إيـواء تـنـظـيـم الـقـاعـدة، وتـقـديم نـفـسـهـا بـاعتبارهـا طرف الاعتدال التي تدعم السلام في الشرق الأوسط. ولهذا السبب، فإن الحرب على الإرهـاب، وفي وقت يتم التعامل مع التهديدات المنبعثة من أفغانستان والعراق، لم تكن تركّز بدرجة كافية على تحييد الدور السعودي.

لقد أظهرت تفجيرات الرياض الأخيرة لدى الغرب والولايات المتحدة بخاصة على ضرورة توجيه الجهود الدبلوماسية لمطالبة السعودية بـوقـف الـدعـم المالي لـلإرهـاب المبـاشـر وغير المباشر، ولعل هذا ما أوضحته بصورة واضحة خارطة الطريق. وهذا ما تسبب في تغيّب ولي العهد السعودي عن حضور إحدى جلسات قمة شرم الشيـخ قبل أن يتم ازالة الفقرة الخاصة بموضوع وقف الدعم عن المنظمات الارهابية مثل القاعدة وحماس وجماعات أخرى.

يـطـالـب الـغـرب أيضـاً الـسـلـطـات الأمـنـيـة السـعـوديـة بـأن تمارس دوراً مماثـلاً للسلطات الباكستانية والأكراد في تصفية جيوب تنظيم القاعدة وتفكيك بـنـيـتـه الـتـنـظـيـمـيـة والعسكرية، ولذلك فإن هناك إصراراً على أن الحرب على الارهاب لا يمكن أن تتجاهل الجبهة السعودية والا فإن هذه الحرب ستكون مستمرة حتى لو إنتهت في جبهات أخرى.

النوم مع الشيطان

سقوط البيت السعودي

روبرت بيير

كتب روبرت بيير، الذي عمل لمدة واحد وعشرين عاماً في وكالة الاستخبارات المركزية، وتحديداً في قسم ادارة عمليات الوكالة في الشرق الأوسط، كتب في مايو الماضي مقالاً في مجلة اتلانتك الشهرية (عدد مايو) بعنوان (The fall of the House of Saud).. وسنحاول هنا تسليط الضوء على أهم ما جاء في المقال:

منذ وقت طويل كان الأميركيون ينظرون الى العربية السعودية بوصفها واحدة من الدول المستقرة والثابتة في الشرق الأوسط العربي، بكونها مصدراً للنفط الرخيص، والاستقرار السياسي، والعلاقات التجارية النافعة. ولكن هذه الدولة تدار بشكل كبير من قبل عائلة مالكة موارية، والتي كانت تقوم بتمويل الحركات الاسلاموية الميليشاوية في الخارج في محاولة لحماية نفسها من هذه الحركات داخل حدودها. يرى أحد العاملين السابقين في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية السي آي آيه، في مقالة له منتزعة من كتاب جديد له بعنوان (النوم مع الشيطان ـ Sleeping with the Devil) بأن العربية السعودية اليوم لا يمكن لها البقاء طويلاً وأن التدهور الاجتماعي والاقتصادي في مؤداه النهائي قد يكون كارثياً.

في العقود التي أعقبت الحرب العالمية الثانية إعتمدت الولايات المتحدة وباقي دول العالم الصناعي بدرجة كبيرة وبصورة دائمة على النفط السعودي، المنتج الأهم والأكبر في العالم. ولكن منذ منتصف الثمانينيات وفيما كانت الحرب العراقية الايرانية تزداد ضراوة، وفيما كان حظر أوبك النفطي لايزال يفرض نفسه كذكرى مؤلمة وقريبة العهد، وفيما كان التزوّد بالنفط مازال حتى اعلان الحظر النفطي قد تم الاتكال عليه بصورة شبه مؤكدة ومضمونة، بدا فجأة وكأنه في خطر. فمخططو الكوارث خارج وداخل الحكومة بدأوا بطرح الاسئلة غير المريحة. ما هي النقاط الأكثر عرضة لهجمات إرهابية في البنية النفطية السعودية؟ وما هي الوسائل؟ وما هو المدى الزمني المتوقع لانقطاع تدفق النفط، هل يمكن توقع مدى قصيراً أو طويلاً؟ هذه تمثل الاهتمامات الحساسة. ويختفي وراء كل هذه الاسئلة الخوف من أن هجوماً كبيراً على النظام السعودي قد يتسبب في إنهيار إقتصادي عالمي.

النظام السعودي بدا ـ ومازال ـ عرضة وبصورة مخيفة لهجمات إرهابية. وبالرغم من أن السعودية تمتلك أكثر من ثمانين حقل غاز ونفط، وأكثر من ألف بئر فاعلة، فإن نصف احتياطيها النفطي الثابت موجودة في ثمانية حقول فقط بما في ذلك حقل الغوار، أكبر حقل نفطي بري في العالم، والسفانية، أكبر حقل نفطي عائم في العالم. سيناريوهات سرية متعددة تشير الى أنه اذا قام الارهابيون بضرب نقاط حساسة محددة في النظام النفطي، وتحديداً في حقول النفط الثمانية سالفة الذكر وهي نقاط تتحكم في اكثر من أنبوب بطول عشرة آلاف ميل، برا وبحراً، حيث يسير النفط من الآبار الى المصافي ومن المصافي الى الموانئ، بداخل المملكة وخارجها، فإن ذلك من شأنه أن يعطل التجارة النفطية السعودية بصورة مؤثرة لمدة نحو سنتين، وإن عملاً من هذا القبيل لا يبدو صعباً كثيراً.

وكما توضح الخرائط، فإن النقاط الأكثر عرضة للهجوم والهدف الأسهل والأشد خطورة في النظام النفطي السعودي هو مجمع بقيق، وهو الموقع النفطي الأضخم في العالم، والذي يقع على مساحة تصل الى نحو ٢٤ ميلاً برياً من أقصى شمال خليج البحرين. فالبترول الموجود في الجنوب يضخ الى بقيق من أجل تكريره. في الشهرين الأوليين بعد هجوم متوسط الحجم الى شديد على بقيق، فإن الانتاج سيتقلص من معدل ٦.٨ مليون برميل يومياً الى مليون برميل، وهي خسارة تعادل ثلث الاستهلاك اليومي الاميركي من النفط الخام. ولمدة سبعة شهور لاحقة بعد الهجوم، فإن الانتاج اليومي سيبقى أقل بأربعة ملايين برميل، وهو إنخفاض يساوي تقريباً طاقة كل أعضاء منظمة أوبك عند فرض الحظر عام ١٩٧٣.

العائلة المالكة موارية وموّلت المليشيات الدينية المتطرفة في الخارج لحماية نفسها في الداخل

النفط يضخ من بقيق لمحطات الشحن في رأس تنورة والجعيمة، على الساحل الشرقي من السعودية. وتسيّر رأس تنورة كمية بترول أكثر قليلاً من نظيرتها الجعيمة (٤.٥ مليون برميل يومياً مقابل ٤.٣ مليون برميل)، ولكن رأس تنورة تقدّم تنوعاً هائلاً من الاهداف وأكثر من ذلك من طرق الهجوم. فالنفط المصدَّر عبر رأس تنورة يتم تسلّمه بالكامل تقريباً من قبل

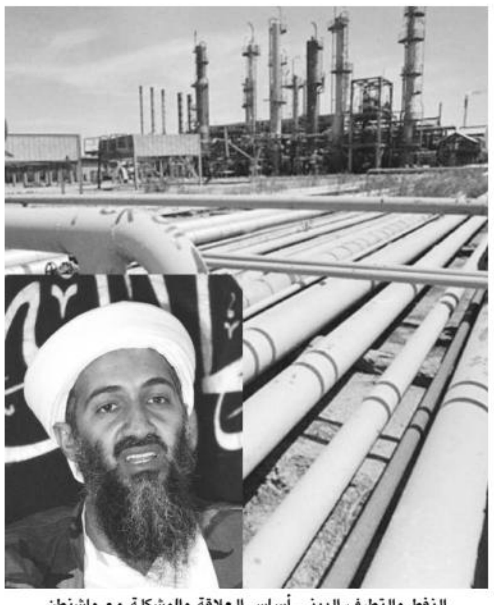
تسهيلات بحرية تعرف بإسم The Sea Island فيما يقوم الرصيف رقم ٤ بتولي النصف الآخر. فهجوم عسكري مباغت على الرصيف ٤ من خلال قارب بحري أو حتى من قبل غواصة بدائية تباع في سوق السلاح الدولية سيكون مدمّراً. إن هجوماً كهذا سيكون سهلاً، تماماً كما حصل بشكل تام وواضح عام ٢٠٠٠ في الهجوم على المدمرة كول، حيث قام الانتحاريون بتلك العملية بقيادة قارب وبفاعلية قتالية ويحمل بداخله ليس أكثر من دائرة بروج محملة بمتفجّرات بلاستيكية.

نقطة أخرى تجعل السعودية عرضة للهجوم هي محطة الضخ رقم واحد، المحطة القريبة من بقيق، والتي تسيّر النفط للأعلى، لجبال آرامه (Aramah)، حيث تستطيع بدء رحلتها الطويلة عبر شبه الجزيرة الى ميناء البحر الأحمر في ينبع. فإذا جرى ضرب المضخة رقم ١، فإن ٩٠٠ ألف برميل من الخام العربي الخفيف والخفيف جداً والذي يضخ يومياً الى ينبع سيتوقف فجأة عن الوصول، وستكون ينبع خارج سوق التجارة النفطية منذئذ.

وحتى الأنبوب القصير الذي يجري من بقيق الى المحطات الخليجية في الجعيمة ورأس تنورة ليس بمنأى عن أي هجوم محتمل. فإذا أصيب مجمع رابط القطيف المتعدد بأضرار كبيرة، وهذا المجمع يقوم بتوجيه ضخ النفط لكل المنطقة الشرقية من السعودية، فإن التدفق سيتوقف لشهور. وأن الأنابيب الموصلة لهذه المحطات والتجهيزات يمكن استبدالها سريعاً ولكن بالنسبة لتلك الموجودة في القطيف فإنها تتطلب تصنيعاً خاصاً.

خبراء في نفط سيبيريا وقزوين وخليج المكسيك وآلاسكا يودون الاشارة الى أن الولايات المتحدة فطمت نفسها من النفط السعودي، من أجل الحماية ضد تأثيرات هجوم من هذا القبيل ضد النظام النفطي السعودي. فالسعودية التي ربما ترقد على ٢٥ بالمئة من الاحتياطي النفطي العالمي المعروف، يقول الخبراء بأنها تزوّد نحو ١٨ بالمئة تقريباً من النفط الخام المستهلك من قبل الولايات المتحدة وهذا يعتبر انخفاضاً بالقياس الى ٢٨ بالمئة خلال عقد. ولكن ما فشل هؤلاء عن ذكره هو أن السعودية لديها أهم قدرة انتاجية اضافية في العالم، بما يعادل مليوني برميل يومياً. وهذا يجعل السوق العالمية سائلة. ليس ذلك فحسب، ولكن لأن السعوديين يقررون الى حد كبير سعر النفط عالمياً من خلال تحديد كمية النفط المنتج، فإنه حتى الدول التي لا تشتري النفط السعودي ستكون عرضة للهجوم إذا ما تعرض تدفق النفط السعودي لأي اضطراب.

لقد استعمل السعوديون وبصورة متكررة قدرتهم الانتاجية الاضافية لاستقرار السوق النفطية العالمية. فقد استعملوها لكسر حظر أوبك ـ ولكن ليس قبل أن يثروا أنفسهم بعشرات البلايين من الدولارات ـ في عام ١٩٧٤. وقد استعملوها ثانية خلال الحرب العراقية الايرانية، من أجل الحفاظ على تدفق النفط الى الغرب الصناعي. واستعملوها ـ ثالثة ـ خلال حرب الخليج في عام ١٩٩٠ ـ ١٩٩١، فبالتعاون مع دول خليجية أخرى، تستطيع السعودية انتاج ما مقداره خمسة ملايين برميل إضافي يومياً، كتعويض



النفط والتطرف الديني أساس العلاقة والمشكلة مع واشنطن

عن الخسارة الناتجة عن نفط العراق والكويت. واستعملوه أيضاً في الثاني عشر من من سبتمبر عام ٢٠٠١. وبعد أقل من أربع وعشرين ساعة من الهجمات على مركز التجارة العالمي والبنتاغون، قرر السعوديون إرسال تسعة ملايين برميل الى الولايات المتحدة لمدة إسبوعين. وكانت النتيجة أن الولايات المتحدة شهدت إنخفاضاً طفيفاً في مستوى التضخم خلال أكبر هجوم إرهابي كارثي في التاريخ.

السعودية لن تعمّر طويلاً، والطبقة الوسطى السعودية تتفجر، ودولة الرفاه تخضع لتأثير هائل بسبب تبدلات سعر النفط. السعودية تعيش الآن على التنفس الإصطناعي

لقد اعتبر الأميركيون السعودية الدولة المستقرة في الشرق الأوسط. فالسعوديون يخزّنون نفطنا أسفل رمالهم، وأن خسارة السعودية ستكون بمثابة خسران الاحتياطي الفيدرالي. وحتى لو تحوّل الحكام السعوديون الى معادين للأميركيين، فإن الجدل يستمر، بأنهم لن يوقفوا مطلقاً ضخ النفط، لأن ذلك يعني قطع رقابهم بأنفسهم. وهذا بكل حال الطريقة التي ننظر بها الى الموضوع قبل أن يقوم خمسة عشر سعودياً وأربعة آخرون من الارهابيين بتنفيذ هجمات انتحارية في الحادي عشر سبتمبر، وقبل أن يصبح اسامة بن لادن وعلى حين غرة الشخصية السعودية في العالم العربي الأكثر شعبية في التاريخ، وقبل أن تعلن جريدة يو إس أيه توداي في الصيف الماضي بأن نحو أربع من أصل خمس هجمات على مواقع تنظيم القاعدة السرية جاءت من داخل السعودية، وقبل أن يشير تقرير حديث أعده مجلس الأمن الدولي الى أن السعودية حوّلت ٥٠٠ مليون دولار الى القاعدة خلال عقد من الزمن.

خمس عائلات ممتدة في الشرق الأوسط تمتلك نحو ٦٠ بالمئة من النفط العالمي. عائلة آل سعود تسيطر وحدها على أكثر من

ثلث تلك الكمية. هذا هو المحور الذي يقوم عليه الاقتصاد العالمي، وأن البيت السعودي يعرف بأن الغرب بدأ للتو بالتعلم، بأن هذا البيت يدير مملكة ستكون الحرب معها خطرة للغاية. هناك قناعة تسري في الرياض وجدة بأن أموال النفط قد أفسدت العائلة المالكة الى حد لم تكن فيه مؤهلة للصلاح والاصلاح، وفيما يتزايد التعداد السكاني يزداد عدد الفقراء في نفس الوقت، فإن قادة هذه البلاد فشلوا في حماية رفاقهم المسلمين في فلسطين وأماكن أخرى، وأن البيت السعودي قد جعل الاسلام ذليلاً، أي بكلمات أخرى فإن البلاد بحاجة الى "تطهير" راديكالي.

فقوة الشرطة فاسدة، وحكم القانون هو الخداع. السعودية تحتل المرتبة الأولى في العالم في مجال قطع الرؤوس بحد السيف بصورة علنية، والذي يتم غالباً في منطقة بلازا الرياض والمعروفة شعبياً بإسم ساحة الاعدام. الاسلحة غير المرخّصة تتدفق بصورة اعتيادية من وإلى البلاد. أخذاً في الاعتبار الانفاق العسكري الضخم، فإن السعودية تنفق على الدفاع أكثر من أي دولة في العالم (بعضهم يورد نسبة ٥٠ بالمئة من إجمالي المداخيل)، وأن آل سعود يعتقدون بأن ذلك ضروري من أجل الحماية الشخصية. فالنظام قد تم تهديده بصورة متزايدة من قبل دولة معادية محاذية، ومن قبل أعداء محليين داخل حدود البلاد. الخطباء الشعبيون في السعودية ينادون بصورة صريحة من أجل الجهاد ضد الغرب، وهذا التصنيف يشمل بوضوح العائلة المالكة نفسها، بما يعيد الأجواء المعادية التي عاشتها ايران خلال ذروة النشاط الثوري الاسلامي. مدارس ومساجد المملكة أصبحت أرضية مولّدة للاسلام الميليشياوي. فالهجمات الأخيرة في بالي، والبوسنة، والشيشان وكينيا والولايات المتحدة، دع عنك الهجمات ضد عسكريين أميركيين في السعودية.. كل هذه تشير الى هذه المدارس، والى عائلة آل سعود نفسها.

ويحسب معلومات لموظف عمل لمدة واحد وعشرين عاماً في إدارة عمليات وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في الشرق الأوسط، فأنه خلال سنوات خدمته هناك: قبلت، إيماناً مني بعقيدة حكومتي، بأن أموال العائلة المالكة في السعودية كانت تنفق على السلاح والأمن الوطني، بما يعني أن القوات المسلحة التابعة للعائلة المالكة والحرّاس الخاصين يمكن أن يحفظوا أمن أعضاء العائلة المالكة والنفط. (فالعائلة المالكة تشبه أصابع اليد الواحدة) كما يقول زملائي في وزارة الخارجية. (هدّدهم، وسيتحوّلون الى قبضة). أنا لم أعد أؤمن بذلك. فالسعودية أصبحت دولة غير عقلانية بشكل كبير. واذا كان لي أن أحدد اللحظة التي بدأ البيت السعودي فعلياً بالتفكك، فسيكون منذ أن أصيب الملك فهد (الذي أصبح ملكاً عام ١٩٨٢) بجلطة شبه قاتلة عام ١٩٩٥. فمنذ أن سمعت العائلة المالكة عن جلطة فهد، رفعت درجة الحذر الى مستوى عالٍ.

عبد الله لم يخف نيته من أجل وضع حد للسرقة حين يصبح ملكاً، وقد يبدو ذلك أحياناً بأنه قد يقوم بذلك حتى قبل أن يصبح ملكا. في منتصف التسعينيات، حين واجهت السعودية صعوبات مالية متزايدة، أقنع الملك فهد بتعيين عدداً من الوزراء الاصلاحيين. فقد بات سلوكاً اعتيادياً أن يدخل أمير الى مطعم، فإذا رأى فيه مشروعاً واعداً، كتب شيكاً واشترى المكان، وغالباً ما يكون السعر أدنى من سعر السوق. وليس هناك ما يمكن للمالك فعله للحيلولة دون بيع المطعم. فهو يعلم، بأنه اذا ما قاوم فإن الأمر قد ينتهي به الى السجن وقد توجه له إتهامات مزعومة.

الأمراء الكبار يستعملون مناصبهم الحكومية للعمل نفسه، ولكن على مستوى عالٍ جداً. فأحدهم قد يختار عقاراً ثميناً، ولربما يكون موقعاً مناسباً لمركز تسوّق أو طريق جديد، ومن بعد ذلك يأمر محكمة بالترافع ضده للجحود بحجيته بإسم الدولة، حيث يتم تهيئة الوضع للملك من أجل إهدائه له. في رأي عبد الله، على أية حال، فإن المعاملات العقارية الجنائية وأشباهها هي مجرد جزء صغير من المشكلة. فالمعاملات خارج الميزانية هي جزء كبير جداً.

فالانفاق خارج الميزانية، كما دخل مبيعات النفط، تذهب مباشرة الى الحسابات الخاصة، متجاوزة الخزانة السعودية. فالأموال تستعمل حينئذ لدفع تكاليف المشاريع بدءا من مشتريات الدفاع الى البناء، دون محاسبة أو مراقبة الحكومة من أي نوع. فالعمولات والرشاوى متفشية. كمصلح، أبقي عبد الله خارج دائرة الضوء التي كانت محيطة حول فهد بعد إصابته بالجلطة. والمرارة الموجهة ضد عبد الله داخل العائلة المالكة عميقة، كونه في حقيقة الأمر يلام على جلطة الملك فهد. إحدى الروايات تقول بأن فهد وعبد الله كانا في مكالمة هاتفية، يتجادلان حول من سيحضر قمة مجلس التعاون الخليجي في عمان. من حيث المبدأ لم يكن القرار مهماً، ولكن العلاقات بين الرجلين أصبحت مسمومة، كما قيل، مما أخرج غضب فهد في تلك الحادثة. شائعة أخرى منتشرة تقول بأن فهد وعبد الله كانا في حالة حوار حاد حول موضوع الجدل الدائم، أي اقتراب الانهيار المالي داخل السعودية. وهناك همسات تقول بأن عبد الله قد أثار عن قصد غضب فهد، رغم معرفة الأول بأن صحة فهد لا تقاوم لعبة الصراخ.

لقد أصبح في نهاية الأمر واضحاً بأن فهد سيعيش ولكن عدم قدرته بلغت حداً محرجاً بوضوح، ولذلك فإنه خلال جلسة علاج أعقبت الجلطة بفترة قصيرة، تغوّط الملك في بركته أمام عائلته. كما أن مخه قد أصيب أيضاً. والمقربون منه يعلمون جيداً بأنه لن يكون مطلقاً قادراً على الحكم مرة ثانية، رغم أنه مازال يقاد للمظاهر الاحتفالية الرسمية.

السعودية اليوم تعتبر فوضى، ولكنها فوضى من صنع أيدينا. نحن جعلناها خزّاناً لحفظ احتياطياتنا النفطية، وحصدنا المنافع وعلينا تحمّل نتائج هذا السلوك

بعد عام ونصف على جلطة فهد، أصبح سلطان يزدري عبد الله حيث توقف عن حضور إجتماعات مجلس الوزراء التي يرأسها عبد الله. بالنسبة لعبد الله فإن الشعور يبدو مشتركاً. في يوليو عام ١٩٩٧، تجاوز عبد الله مجلس الوزراء، الذي كان يميل بقوة الى صالح السديريين، وحاول الحصول على توقيع فهد بشأن أوامر وقوانين يعتقد بضرورة التجاوز فيها. وقد حاولت الجوهرة وعبد العزيز ـ زوجة الملك وإبنه المدلل ـ معاً منعه من ذلك. يجب التنبيه الى أن ذلك لا يعني أن بقية جناح فهد متحد. فسلطان، وسلمان ونايف الذين وصلوا سوية الى المستشفى لاظهار توحّدهم، تلقوا صدمة خشنة حين دفعوا الى الأبواب الأمامية. فقد قام كل من الجوهرة وعبد العزيز بمنعهم من رؤية

أخيهم. فالاثنان أقاما مخيّماً خارج غرفة المستشفى التي يرقد فيها فهد وكانا يقرران ويفحصان من وماذا يدخل اليه. وهذا يشمل الوزراء، وكبار الأمراء، والأطباء، اضافة الى العرائض، والأوامر، وكل شيء آخر.

الخلافة في السعودية لا تتم بناء على حق البكر في الإرث. فبحسب التقاليد، فإن الأمراء الكبار فد توصلوا الى إجماع على الخلافة، وعادة ما يتم إختيار أحد من تلك الطبقة، والذي يعتقد بانه يمتلك خبرة ضرورية وحكمة. وحتى الآن، فإن النظام قد خدم العائلة المالكة بصورة جيدة، بالرغم من أن عبد الله قد أصبح مزعجاً، ولكن أخوان فهد خائفون الآن بأن عبد العزيز ـ إبن فهد ـ كان يحاول تحاشي التقليد وأن يضع نفسه في موقع عالٍ في خط الوراثة. ربما لسبب واحد، فإنه بدأ في الانغماس شيئاً فشيئاً في الأمن الوطني، من الشؤون الخارجية الى المخابرات. وحتى الأميركيون لحظوا ذلك. وحين جاء قائد القوات الأميركية في الشرق الأوسط الجنرال بينفورد بي الى الرياض لمقابلة فهد في يوليو عام ١٩٩٧، تفاجأ بوجود عبد العزيز بجانب فهد، يهمس في أذن والده. فأين كان عبد الله؟ وماذا أصبح سلطان؟ وكان على بي أن يقابل عبد الله بصورة منفصلة، وحتى ذلك الوقت لم يتحدث عبد الله حول القضايا المطروحة.

ما يقلق بعض أعضاء العائلة المالكة حقّاً، هو أن عبد العزيز كان يموّل قضايا وهابية راديكالية وأنه يحصل على قوة وشعبية نتيجة ذلك. بعض الأمراء لديهم قليل من الشك بأن المال الذي كان يذهب الى العلماء والقضايا، وصل في النهاية الى أسامة بن لادن. عبد العزيز لم يكشف بالطبع عن إيمانه، فهو كان يشجّع الوهابيين لأنه يعلم بانه بحاجة الى تأييدهم كي يصبح ملكاً. في سبتمبر ١٩٩٧ قام بتقديم ١٠٠ مليون دولار مساعدة لطالبان، بالرغم من أن الأخيرين كانوا يحمون بن لادن، الرجل الذي تعهد ليس بإسقاط البيت السعودي فحسب، ولكن بدا وبصورة متزايدة بأنه قادر على فعل ذلك. عبد العزيز كان يشتري الدعم أين ما وجده.

يبلغ عدد أفراد العائلة المالكة حالياً نحو ٣٠ ألف عضواً، وسيصل هذا الرقم الى ٦٠ ألف بعد جيل، وربما أكثر من ذلك. وبناء على مصادر موثوقة، هناك دليل غير موثوق بفعل الماكينة الدعائية المناهضة للسعودية بأن العائلة المالكة مسكونة بالقمار، والكحول، والدعارة، والحفلات. وأن العمولات وباقي المدفوعات لتمويل مخازي العائلة ثابتة. ماذا سيكون سعر البترول في سنة ٢٠٢٥ لدعم الامتيازات الاساسية مثل تذاكر السفر المجانية لأي مكان في العالم على الخطوط السعودية، والتي كان يتمتع بها الأمراء، فإذا بلغت العائلة ٦٠ ألفاً أو ١٠٠ ألفاً فهل سيكون هناك مقاعد كافية لمن يريد السفر للخارج من الرياض أو جدة؟ الاصلاحيون داخل العائلة المالكة يتحدثون عن إيقاف الغطرسة، ولكن ذلك قرار صعب التسويق..

إن تفويض الأصوليين الوهابيين بإدارة نظام التعليم السعودي في السنوات الأخيرة أعتبر شكلاً من أشكال الترضية حيث يأمل كثيرون في العائلة المالكة بأن يوّجه عداء الاصوليين الى أهداف خارجية، فإن مخرجات التعليم عموماً قد أسيء إعدادها للتنافس في عصر تكنولوجي أو إقتصاد عالمي. فحالياً هناك إثنان من ثلاثة من الحاصلين على شهادة الدكتوراه داخل السعودية في الدراسات الاسلامية. والدكتوراه نادراً ما تمنح لعلوم الكمبيوتر، والهندسة، وعلوم عالمية أخرى. الشباب السعوديون يتم تعليمهم كيما يأخذوا دوراً في العالم الذي سيبقى اذا ما نجح الجهاديون الوهابيون في إعادة عقارب الساعة ليس الى عقود قليلة للوراء ولكن لعدة قرون.

هناك أيضاً المشكلة الديمغرافية. فلدى السعودية أعلى معدلات ولادة في العالم بإستثناء أفريقيا، أي ٣٧.٢٥ ولادة لكل ألف مواطن في السنة الماضية بالمقارنة مع ١٤.٥ في الألف في الولايات المتحدة. سبعة وتسعون بالمئة من كل السعوديين هم في أعمار ٦٤ أو أقل، وأن نصف السكان أقل من سن الثامنة عشرة. وأن الحضور البسيط لكثير من الناس المؤهلين للعمل، سيما هؤلاء الكثيرين المؤهلين الآن للدخول الى قوة العمل، يفرض ـ كل ذلك ـ ضغطاً هائلاً على الاقتصاد، وخصوصاً بالنسبة لنظام غير مصمم لاستيعاب هؤلاء الذين يريدون العمل أكثر من كونهم يريدون تزويد أولئك الذين يفضّلون التدبّر في معاني القرآن ومقاصده. الطبقة الوسطى تساهم في استقرار المجتمع، والطبقة الوسطى السعودية تتفجر.

وظيفة دولة الرفاه في العالم الأكثر تقدماً تخضع تحت تأثير هائل للتبدلات في سعر النفط. في عام ١٩٨١، حين كانت المملكة بأكملها عرضة لتأثيرات السوق، كان البترول يباع بسعر ٤٠ دولار تقريباً للبرميل، وأن الدخل السنوي للفرد كان ٢٨٦٠٠ دولاراً. ولكن بعد عقد من الزمن، وتقريباً قبل أن يغزو العراق الكويت، كان المستهلكون قادرين على شراء النفط بسعر ١٥ دولاراً للبرميل. رفعت حرب الخليج سقف الأسعار الى نحو ٣٦ برميل قبل أن تبدأ بالسقوط السريع. اليوم يدورسعر البرميل من النفط حول ٤٠ دولاراً، ولكن عشرين عاماً من التضخم، مصحوبة بانفجار سكاني قد أطاح بالدخل الفردي في السعودية الى ما دون ٧ آلاف دولاراً. ولأن ٨٥ بالمئة تقريباً من المداخيل الاجمالية السعودية تستند على البترول، فكل زيادة بمعدل دولار واحد في سعر البرميل يعني مكسباً بنحو ٣ بلايين دولار للخزينة السعودية.

هناك قناعة بأن أموال النفط أفسدت العائلة المالكة الى حد لم تعد فيه مؤهلة للصلاح والاصلاح. السعودية بحاجة الى تطهير راديكالي

من جهة أخرى، في بدايات الثمانينات، إستطاعت المملكة تنمية احتياطيات نقدية بنحو ١٢٠ بليون دولار، ويصل الرقم اليوم الى ٢١ بليون دولار فحسب. بالنظر الى هذه القوى المهددة مجتمعة، يمكن للمرء أن يعتقد بأن كل خريطة في العاصمة واشنطن عليها علم أحمر يبرز الرياض، للتذكير بأن السعودية هي الآن تعيش على التنفس الاصطناعي.

الحقيقة هي عكس ذلك تماماً. قبل الحادي عشر من سبتمبر لم تصدر الولايات المتحدة على وجه الاطلاق مذكرة ارشادية تشير الى مشاكل أمنية واضحة بالنسبة للأميركيين المسافرين الى السعودية، فالمرافقون لمواطنين أميركيين يقميون هناك لم يُنصحوا مطلقاً بالمغادرة. وبحسب مسؤول اميركي، حتى اليوم فإن البلاد تعتبر مستقرة: فحكومتها مازلت بدون ريب مسيطرة على الحدود، وأن قوة الشرطة والجيش مقتدرة وموالية، وشعبها

مازال يلبس ويأكل ويتعلم بشكل حسن.

بالنسبة للسي آي أيه، فإن الوكالة تركت الأمر لوزارة الخارجية لأخذ المبادرة وقررت ببساطة تجاهل السعودية. فالسي آي أيه لم تجنّد أي من الدبلوماسيين السعوديين لإخبارنا، على سبيل المثال، ما الهدف من أقسام الشؤون الدينية التابعة للسفارات السعودية في الخارج. إدراة الاستخبارات التابعة للسي آي أيه تحاشت كتابة تقديرات الاستخبارات الوطنية، المستمدة من عدد مختلف من الخدمات الاستخباراتية الأميركية، حول مناطق الأزمة الكامنة في السعودية، مع العلم بأن تلك التقديرات، خصوصاً السلبي منها، تنزع الى أن تجد طريقها الى الصفحات الرئيسية في الصحف الأميركية، حيث ربما قد يكون لها تأثير غير مرغوب على الرأي العام. فمسار السي آي أيه أصبح كمسار الدولة: فليس هناك حاجة للقلق حول السعودية واحتياطياتها النفطية.

العلاقات السعودية الأميركية لن تكون دافئة ما لم يكن هناك شخص مقرّب من كل من الجانبين كيما يستطيع التحرك بإرتياح وسهولة لتحقيق المهمة، وهذا الشخص هو الأمير بندر (٥٤ سنة). وبالرغم من أن رتبته أقل بالنسبة لخط الدم الملكي (فأبوه وزير الدفاع الأمير سلطان أخ الملك فهد، ولكن أمه هي خادمة بيت ـ أمة ـ عبدة)، وقد أصبح الأمير بندر سفيراً في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٨٣، وهو السفير الأجنبي الوحيد في الولايات المتحدة الذي يتم اطلاعه على تفاصيل أمنيّة من قبل وزارة الخارجية الأميركية. وقد أثبت بندر بأنه كفوء في العمل على جانبي الدبلوماسية الخاصة والعامة سواء بسواء. فخلال عمله كملحق عسكري في الولايات المتحدة سجّل انقلاباً مدهشاً في عام ١٩٨١ بإقناع الكونغرس للموافقة على بيع طائرات الأواكس لبلاده، رغم اعتراضات إيباك، اللوبي الموالي لاسرائيل في واشنطن. وفيما بعد كسفير، نقل بندر تحيات المملكة من خلال وضع عشرة ملايين دولار في بنك فاتيكان سيتي، كما نقلت صحيفة الواشنطن بوست العام الماضي. هذه الأموال المودعة بطلب من وليام كيسي، الذي أصبح رئيساً للسي آي أيه، كان بغرض استعمالها من قبل الحزب الديمقراطي المسيحي الايطالي في حملته ضد الشيوعيين الايطاليين. وفيما بعد، أي في يونيو ١٩٨٤، بدأ بندر في دفع ٣٠ مليون دولار من أموال العائلة المالكة حيث تمكن نائب كولونيل أوليفر نورث من شراء السلاح لمقاتلي الكونترا في نيكاراغوا.

في منتصف عام ٢٠٠٢ تسربت كلمة الى الصحافة بأن هيئة سياسة الدفاع شبه الرسمية التي يرأسها أحد شخصيات الحرب الباردة غير المحترمين ريتشارد بيرل، قد أشرف على تقرير يعلن صراحة بأن السعودية هي جزء من مشكلة الإرهاب الدولي وليس جزءاً من الحل. السعودية، بحسب التقرير، كانت (في صميم التدمير الذاتي للعالم العربي والقوة الرئيسية الموجِّهة لأزمة العرب والعدوان الموجّه للخارج). ويضيف التقرير أيضاً: (السعوديون نشطون في كل حلقات سلسلة الارهاب، بدءاً من المخططين الى الممولين، ومن الكادر الى الجندي، ومن الأيديولوجي الى القائد الميداني). خلال ساعات كان كولن باول على التلفون مع وزير الخارجية السعودية لتطمينه وعبره تطمين العائلة المالكة بأن مثل هذه التصريحات لم تكن ولن تكون تمثل موقفاً رسمياً لإدارة بوش. ولتأكيد الرسالة، دعا الرئيس بوش بندر الى مزرعة العائلة في كراوفورد بتكساس، ولكن مشاكل الصورة المصنوعة مازالت مستمرة.

في أكتوبر عام ٢٠٠١، هاجمت قوات الناتو مكاتب الهيئة السعودية العليا للاغاثة في البوسنة، التي أسسها الأمير سلطان، وعثرت، بين أشياء أخرى، على صور لسفارتي كينيا وتنزانيا، قبل وبعد التفجيرين المدمّرين، وهكذا صور مركز التجارة العالمي والمدمرة كول، ومعلومات عن كيفية إستعمال الطائرات الخاصة برش المحاصيل، ومواد من أجل تزوير بطاقات الهوية الأميركية. إن عمل بندر لم يكن سهلاً بكل حال، ففي خريف العام الماضي وجد الأمير بندر نفسه مضطراً لشرح حقيقة مصير ١٣٠ ألف دولار كانت زوجته الأميرة هيفاء قد تبرعت بها الى أعمال خيرية، ثم إنتهت الى إثنين من خاطفي الحادي عشر من سبتمبر.

أمام هذه التكشّفات، فإن الوفد الأميركي الذي يرأسه ألين لارسون، وزير الشؤون الاقتصادية في حكومة بوش، سافر الى الرياض في نوفمبر الماضي، زاعماً بأنه سيدعو السعوديين لجهة زيادة مراقبة الجمعيات الخيرية والشبكات التمويلية. ولكن مصادر سعودية وأميركية ذكرت بأن أحد الاسباب الرئيسية لرحلة لارسون كان لتأكيد بأنه اذا قررت الولايات المتحدة غزو العراق، فإن السعوديين سيضمنوا تدفق المزيد من النفط الى السوق الدولية..

جواب واشنطن للسعوديين، الى جانب تكرار بأن ليس هناك ثمة خطأ، هو إقتراح بأن قليلاً من الديمقراطية سيعالج كل شيء. الحديث مع العائلة المالكة من أجل التنازل على الأقل عن جزء من سلطتها، ودعم الأمراء الاصلاحيين، وتدشين نموذج برلماني، وإحتواء المحرِّضين بمنحهم منصب أو منصبين، وتشكيل حزب سياسي صغير، مع تقليل الفساد الى حد ما، وإرسال جيمي كارتر لمراقبة أول انتخابات، ثم بعد عدة أجيال قليلة ستكون الرياض أنقره، وربما حتى لندن. الآلية الحكومية ربما عاجزة، حسب رؤية واشنطن، ولكن الناس الذين يديرون الحكومة، والقسم الأكبر منهم ملتزمون لاستئصال الفساد، والقضاء على الارهابيين، والاعتراف بحق الشعب في حكومة منتخبة.

أصبحت السعودية دولة غير عقلانية بشكل كبير، وقد بدأ البيت السعودي فعلياً بالتفكك منذ أن أصيب الملك بجلطة شبه قاتلة عام ١٩٩٥

السعودية اليوم تعتبر فوضى، ولكنها فوضى من صنع أيدينا. نحن جعلناها خزّاناً خاصاً لحفظ احتياطياتنا النفطية. نحن حصدنا المنافع من تزوّدنا البترولي الثابت بأسعار مخفّضة، ونحن ممسوكون بكل بترودولار سعودي متوفر. نحن علّمنا السعوديين بالضبط ما هو المتوقع منهم. ولا يمكننا من الناحية الأخلاقية تجاهل نتائج هذا السلوك، ولا يمكننا تجاهل ذلك أيضاً إقتصادياً. ولذلك نحن نتباهى بالديمقراطية ونتحدث عن يوم ما نخلّص أنفسنا من الاعتماد على النفط الخارجي، بالرغم من حقيقة أنه طالما إعتمدت أميركا على النفط الخارجي فلن يكون هناك جهد مخلص أو مدعوم لدى الطبقة العليا في الحكومة من أجل تخفيض الاستهلاك البترولي الأميركي على المدى الطويل.

حكومة (تصريف أعمال)

ونقصد بحكومة (تصريف أعمال) تلك الحكومة التي تنشغل بالإجراءات الصغيرة، وتنسى واحداً من أهم وظائفها وهو التخطيط للمستقبل في شتى مجالاته. وما نشهده اليوم في المملكة هو هذا النوع من الحكومة، التي ينشغل فيها طاقمها السياسي (الأمراء الكبار والوزراء) في التوافه من الأمور، والعمل لتصريف ما هو موجود أمامهم من أعمال مختلطة الأهمية، وفي غياب استراتيجية عامّة للدولة وتوجهها، بشكل قد يحلّ بعض العقد الصغيرة هنا وهناك، وتسيير شؤون المواطنين في الحدود الدنيا، ولكن دون القدرة على المبادرة في اتخاذ القرارات الكبيرة والحاسمة التي تحتاجها البلاد في الوقت الحاضر. فأصبح الجهاز الحكومي مشلولاً في معالجة الأزمات وبالتالي فقد قدرته من الناحية الواقعية على التحكم بمسارات الأزمة المتعددة المشارب وبنتائجها الكارثية.

(تصريف الأعمال) للأفراد وفي التوافه من الأمور ليس عمل الحكومة، ولا عمل الطاقم الملكي رفيع المستوى، فهؤلاء يجب أن يصلحوا الماكنة أو الداينمو أو الجهاز، دون الدخول في تفاصيله. هؤلاء من واجبهم رسم الخطط، واتخاذ القرارات الصعبة ووضع الإستراتيجيات لسنوات طويلة قادمة. لكن ما نراه اليوم أن وقت الوزراء والأمراء من ولي العهد فنازلاً، يضيع في توافه الأمور، وكأن الوقت لا ثمن له ولا قيمة، وكأن جهاز الدولة ينطبق عليه القول المأثور: إتركوها فإنها مأمورة!

أوضح مثال على حكومة (تصريف الأعمال) التي عندنا، هي ما يسمونه بـ (المجالس المفتوحة) والتي تعدّ بنظر المطبلين أحد مظاهر الديمقراطية والشورى ضاربة الجذور في بلادنا! فقد تحولت هذه المجالس الى تصريف الأعمال واستلام الشكاوى، وكأن ليس هناك جهاز يتولى هذه الأمور، وزارات أو مؤسسات! وإذا كانت هناك مشكلة في الإدارة فلتصلح، أما أن ينشغل أعلى هرم السلطة بتلبية طلب سيارة بكب، أو علاج مريض، أو صرف تذكرة سفر، أو إمضاء منحة قطعة أرض، أو تسديد دية، فهذا ليس من شأن الملك ولا ولي عهده ولا مجالس الأمراء الكبار، وإذا ما أرادوا المساعدة الشخصية فليفتحوا لهم مكتباً خاصاً بهم، لا أن ينشغلوا بالعرائض وصغائر الأمور. فهناك ألوف من المرضى المحتاجين للمساعدة، وعشرات الألوف من الفقراء، وأضعافهم من الضعفاء وأصحاب المشاكل الخاصة، وهؤلاء أولى بالرعاية وحل المشاكل من الأفراد، فليتوجهوا لجذور القضايا، ويصلحوا جهاز البيروقراطية، ويسنّوا القوانين الكفيلة بحماية حقوق المواطن الأولية، بدل المكرمات المزعومة والتدخلات المعيقة للجهاز الحكومي.

إن كثرة المشاكل الفردية تثبت أن هناك مشكلة إدارية أو مشاكل متعددة تؤثر على حياة كل مواطن، ولا يستطيع كل واحد أن يحلها عبر مجالس الأمراء المفتوحة، وفي هذا ظلم للبقية، واعتداء على حقوق المواطنين، وتدخل في غير موضعه، وشخصنة للدولة بدل اعتماد المرجعية الإدارية. والغريب في الأمور، أن هذه الطريقة البدائية المتخلفة في إدارة الدولة، جعلت من العرائض إحدى وسائل الحلول! وفيها يكمن الخلل.

والأمراء يتعاطون مع قضايا الدولة صغيرها وكبيرها بنفس الطريقة وعلى ذات المستوى من الأهمية ما لم تدخل في خانة العنف، فملف البطالة ينظر اليه مثل ملف الأشخاص طلاب الحاجة، وقضايا إجتماعية عميقة لا تختلف في مظهرها وجوهرها بالنسبة لكبار الأمراء عن باقي ملفات (العلاقي الأخضر). أما الوزراء، فتتكوم أمامهم ملفات تحتاج الى توقيع ومعظمها تافه: مثل الموافقة على استقدام عاملة من كينيا، أو استيراد جمال من السودان، أو السماح لمواطن بزيارة إبنه المسجون سياسياً، أو إدخال زوجة شخص الى البلاد من إحدى الدول العربية وغيرها. هذه الصغائر يحلها الجهاز البيروقراطي، لا الوزير ولا غيره، ومن هنا نعرف لماذا وصلت المملكة الى وضع: إتركوها فإنها مأمورة!

الأمراء والوزراء انشغلوا بالتوافه وتركوا واجبهم في التخطيط لمستقبل البلاد ورسم سياساتها الإستراتيجية

هناك أسباب عديدة أدّت الى جعل الحكومة السعودية مقتصرة على تصريف الأعمال:

إن الأمراء لم يتعودوا على فصل أشخاصهم عن الجهاز أو (السيستم) البيروقراطي. فهم الدولة، وهم الحكومة، ولهذا هم يتدخلون في كل شيء، ويعتقدون أن تدخلهم يصلح الأمور، ولكنه في الحقيقة يفسدها. والأمراء من جانب آخر، يريدون الجهاز البيروقراطي قريباً منهم، يشخصنونه، ويجعلون من أنفسهم محوراً له، لأنهم لا يثقون فيه، وعلامة ذلك أنهم لا يمنحونه ثقتهم، ولا يعطون الجهاز الإداري الصلاحيات التي تجعله قادراً على تصريف شؤون الدولة. وفوق هذا، فإن الأمراء علّموا المواطن بأن الشخص وليس الجهاز هو الذي يحلّ المشكلة، أية مشكلة، فالمركزية للأمير وليس للوزارة أو المؤسسة، والحكم للأمير وليس للقانون والإجراءات النظامية، ولذا كان من الطبيعي وفي ظل عجز الجهاز البيروقراطي عن حل المشكلات، أن يتوجه من يتمكن من المواطنين الى الأمراء طالبين التدخل لحماية حقوقهم أو مساعدتهم. إن الأمراء يستهدفون إضعاف الجهاز البيروقراطي ليفسحوا المجال لتدخلهم غير المحدود، مما نتج عنه عجز الأمراء عن الإنصراف لحلول المشاكل الإستراتيجية، وعن التخطيط، وعن سنّ الأنظمة التي تحتاجها البلاد.. وفي نفس الوقت عجز الجهاز البيروقراطي، وتفاقم المشاكل يوماً بعد آخر.

أليس من السخرية بمكان، أن قضية صغيرة تحل في عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً؟ أليس معيباً أن تكون أمام الأمراء الكبار عشرات الألوف من القضايا المهمة مضى عليها نحو عشرين عاماً دون أن يتمكنوا من فتحها، فضلاً عن البتّ فيها!

للأفراد طاقات محدودة، ومهما بلغ الديكتاتور من تعنت فإن أيام الأسبوع لن تزيد عن سبعة، وعدد الساعات في اليوم لن تزيد عن ٢٤ ساعة، وهو لن يتمكن من حل المشكلات، وكلما زادت مركزية الدولة نتيجة الديكتاتورية، حوّلت كل القضايا على بضعة أنفار لا يستطيعون ولو عملوا طيلة يومهم من حلّها، ولذلك لا بدّ أن يضيّعوا حقوق الناس والمواطنين، وتشغلهم التوافه من الأمور عن الإستراتيجيات، ولذلك أيضاً فإن البلاد متروكة مأمورة الى أن يرحم ربي!

رأي

الأمير عبد الله يطلب من أبو مازن دعوة العرب لوقف إرسال الأموال لـ (المنظمات الإرهابية)

السعودية تعهدت بتجفيف منابع القاعدة

في القمة العربية الاميركية بشرم الشيخ في الثالث من يونيو الماضي، تحدّث ولي العهد الأمير عبد الله الى الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش عن التدابير الصارمة التي تتبعها الأجهزة الأمنية السعودية لاستئصال جذور الإرهاب والعنف في بلاده منذ الهجمات الانتحارية في الرياض في الثاني عشر من مايو الماضي.

وقد بالغ الأمير عبد الله في تصوير تحرك الأجهزة الأمنية لتطويق آثار تفجيرات الرياض، وحسب الأمير فإنه بعد أيام قلائل على الهجمات استطاعات أجهزة الأمن السعودية من القاء القبض على أربعة من المشتبه بهم ومعهم زوجاتهم المغربيات في مطار جدة الدولي وهم في طريقهم لاختطاف طائرة سعودية. وقد أطال الأمير في الحديث عن براميل المواد الكيميائية التي جرى اكتشافها خلال الغارة على مخابىء الإرهابيين، حيث كان مقدّراً لهذه المواد الاختلاط بمواد متفجرة والتي من شأنها أن تسبب إنفجارات سامّة في مراكز بعض المدن السعودية.

في العشرة الأيام التي تلت تفجيرات الرياض، كانت وسائل الاعلام السعودية، والتي كان يتم التعامل فيها مع موضوع الارهاب باعتباره موضوعاً محرّماً، مدججة بأعمدة مملوءة بقصص وروايات عن الملاحقات الدرامية لأعضاء تنظيم القاعدة من قبل قوات الأمن السعودية.

لقد طمأن الأمير عبد الله الرئيس الأميركي بوش ووزير خارجيته كولين باول بأنه شخصياً يوظف كافة جهوده الحثيثة لاستئصال جذور الارهاب ويراقب عن كثب وبصورة مكثفة كل قرش يخرج من المملكة من وإلي الجمعيات الاسلامية. وقد تعهد بأن ليس هناك سبيلاً يمكن لأي مال الوصول الى أيدي القاعدة أو أي جماعة إرهابية أخرى في الشرق الأوسط مثل حماس والجهاد الاسلامي على حد زعم الأمير عبد الله.

الأميركيون نقلوا تلك المعلومات الى الاسرائيليين لإقناعهم بأن لا يدّمروا مفاوضات وقف إطلاق النار بين أبو مازن وقادة حماس. إن وقف التدفق المالي الى حركة حماس من داخل السعودية سيؤدي بطبيعة الحال الى إنحسار شديد في العمليات الاستشهادية لدى الحركة وسيخفّض من مستوى القدرات القتالية لدى خلاياها.

تقارير من خارج مشهد قمة العقبة تفيد بأن رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس أبو مازن طلب عقد جلسة محادثات خاصة مع الرئيس الأميركي جورج بوش، ونقل أبو مازن بأنه تلقى اتصالاً تلفونياً على جهاز هاتفه الخاص من الأمير عبد الله لايصال طلب خاص له. فقد طلب منه اضافة عبارة الى البيان الختامي للقمة وهي: "نحن الفلسطينيون ندعو كافة الحكومات والشعوب العربية من أجل وقف إرسال الأموال الى المنظمات والجماعات الإرهابية الضالعة في التحريض على الإرهاب والعنف. ونحن الفلسطينيون نتعهد بالتعاون في هذا المجال كجز من الحرب العالمية على الإرهاب".

الأمراء السعوديون يقدّمون تنازلات في القضية الفلسطينية بدل أن يكون التنازل على حساب وضعهم الخاص

وبعد سماعه ذلك، هنأ الرئيس بوش رئيس الوزراء الفلسطيني كبداية هامة يسهم بها في تطوير علاقات حسنة مع الاسرائيليين. وعلى أية حال حين نقل بوش تلك المعلومات بصورة خاصة الى باول وجونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي، تبادلوا وجهات النظر الأولية دون أن يبدوا تعليقاً علنياً على ماسمعوه عن الأمير عبد الله لرئيس الوزراء الفلسطيني. فقد قرأوا التقرير الصادر من مدير الاف بي آي روبرت مولر عن زيارته في مايو الماضي الى الرياض وصنعاء. وقد تناول التقرير موضوع تقدّم التحقيقات السعودية بخصوص تفجيرات الرياض في الثاني عشر من مايو الماضي.

وقبل مغادرته المملكة، أعرب مولر عن تقديره للعلاقات العلاقات الوثيقة والمتطوّرة بين فرق التحقيق السعوديين والأميركيين. ولكن ما إن خرج من الرياض، أرسل تقريراً مختلفاً تماماً لرؤوسائه في واشنطن. فقد نقل عنه قوله بأن السعوديين طالبوا بأن يغادر معظم أفراد فريق التحقيق الأميركي المؤلف من ٦٠ عضواً المملكة بدون تأخير. ونقل عن المسؤولين السعوديين قولهم بأن التحقيق قد إنتهى وليس هناك من نتائج وأدلة أخرى متوقعة يمكن العثور عليها. وكان السعوديون قد سلّموا قائمة بأسماء الموظفين الأميركيين العاملين في هيئة التحقيق الفيدرالية والمشاركين في التحقيق بأن يغادروا البلاد في الحال، وهم في الغالب من المحققين عالي الكفاءة. ولم يسمح بالبقاء سوى لعدد من الاشخاص يتراوح عددهم بين ٦ الى ٧ أشخاص من المتخصصين ولكن من غير المدرّبين على القيام بمهمات كبيرة وشاملة.

تقرير مولر ألقي بالشك على معظم الادعاءات السعودية فيما يتصل بمساعيها المؤكدة والخاصة بملاحقة أعضاء تنظيم القاعدة. فالمعلومات المتداولة من مصادر مختلفة تظهر بأن كثيراً من المزاعم السعودية بخصوص الغارات على مخابىء ومخازن السلاح الخاصة بتنظيم القاعدة هي وهمية.

المحققون الأميركيون الذين صحبوا لمعاينة مخابىء القاعدة المزعومة وهكذا مخازن أسلحتها إرتابوا في صحة تلك المخابىء والمخازن وشككوا في أن تكون بعض هذه الاسلحة قد وضعت في هذه الأماكن. ولكن ما هو مقلق بالنسبة لأولئك المحققين هو الدليل الذي تقدّمه سلطات مكافحة الارهاب الأميركية والتي تقول بأن تدفق الأموال السعودية الى القاعدة مازال مستمراً وبدون توقف، بالرغم من تأكيدات الأمير عبد الله للرئيس بوش، فهذه الأموال تصل عن طريق ملتوي، وتحديداً عن طريق دبي وليس عبر الجمعيات الخيرية السعودية مباشرة.

كل تلك الدلائل تثير غبار الشك حول مزاعم الأمير عبد الله بشأن التدابيرالصارمة المزعومة التي تتبعها حكومته ضد القاعدة حيث يظل السؤال دائماً ما هو المخفي من القصة السعودية؟

مكتبة الحرم المكي والمكتبات الخاصة الموقوفة عليها

قبل الحديث عن المكتبات الخاصة التي أوقفها أصحابها أو أهداها مالكوها الى مكتبة الحرم المكي الشريف يجدر بنا تسليط بعض الضوء على هذه المكتبة والأهمية التي إكتسبتها والدور الذي تقوم به من أجل الاسهام في النشاط العلمي والمعرفي على مختلف المستويات المحلية والوطنية والاسلامية عموماً، وبالتالي سيمكن لنا حينئذ تثمين القيمة العلمية الكبيرة للمكتبات الخاصة المهداة الى مكتبة الحرم المكي الشريف، والتي كانت تمثل المركز العلمي الوحيد الذي يشع بمقتنياته العلمية النادرة قبل تأسيس مكتبة مكة المكرمة وغيرها.

إن الاحصائيات المنشورة حول عدد روّاد مكتبة الحرم المكي الشريف تشير جزئياً على الأقل الى كون مكتبة الحرم كانت مركز جذب واستقطاب للمتطلعين الى إكتساب العلم والمعرفة في كافة صنوفها، فبحسب احصائية عام ١٩٦٠ بلغ عدد المطلعين والزائرين نحو ٢٦٨٦ مطالعاً وزائراً، فيما بلغ عدد الزوّار عام ١٩٧٣ الى ٤٦٢٥١ مطالعاً وزائراً. وقد مثل افتتاح القسم النسائي التابع لمكتبة الحرم المكي الشريف عام ١٩٨٦م، ويضم هذا القسم جميع المراجع المهمة وبعض الدوريات والكتب ذات العلاقة بالإهتمام النسائي سيما طالبات الدراسات العليا والمتخصصات في حقول علمية وأدبية متنوعة. وكان افتتاح القسم النسائي في المكتبة قد ساهم في زيادة ملحوظة في عدد الزائرات، ففي عام ١٤٠٧ بلغ عدد الزائرات للقسم النسائي في مكتبة الحرم الى ١٥١٢٤ زائرة وباحثة.

وفي عام ١٣٩٠ هـ بلغ مجموع الزائرين لمكتبة الحرم المكي الشريف ٣٧٤٩٧ زائراً بمعدل يزيد عن ٣٠٠٠ آلاف زائراً شهرياً، ثم إنخفض العدد عام ١٤٠٠هـ الى ٧٩٣٦ لأسباب غير واضحة تماماً، ولكن احصائية عام ١٤١٠هـ توضّح زيادة كبيرة ملحوظة في عدد الزائرين لمكتبة الحرم المكي الشريف حيث بلغ عدد الزائرين ٩٧٧٦٤ وهو ثاني أعلى رقم في عدد الزائرين منذ تأسيس المكتبة حيث سجّل أعلى رقم في عام ١٤٠٨هـ بوصول عدد الزائرين ١٢٧١٩٢ زائراً.

يلزم الالتفات الى أن الزيادة الكبيرة في أعداد الزائرين وروّاد مكتبة الحرم المكي الشريف يمكن أن تعود بجانب الموقع الى الاضافة النوعية التي شهدتها المكتبة نتيجة ما ضمّته من مكتبات خاصة أهديت أليها من قبل أهل الخير والعلماء والباحثين وأصحاب القلم الذي أوقفوا مكتباتهم بما حوت من نفائس الكتب ونوادر المخطوطات والمصادر على طلاب العلم والمعرفة وجعلوها مشاعة للناس عامة عبر مكتبة الحرم المكي الشريف.

نشير هنا الى أن انتقال مقر مكتبة الحرم المكي الشريف من مبناها القريب من المسجد الحرام سنة ١٤١٢هـ الى مبنى مستأجر بشارع المنصور، وهو المبنى الذي كانت تشغله رابطة العالم الاسلامي قد تسبب في إنخفاض روّاد المكتبة من الباحثين والباحثات والزوّار بسبب بعد المكتبة عن المسجد الحرام، القطب الروحي ومركز الاستقطاب لكل القادمين والباحثين والمقيمين والزائرين في هذا البلد الحرام. فقد تخافض عدد الزائرين وروّاد المكتبة بصورة ساحقة حيث بلغ عام ١٤١٣ هـ ٢٥٨٠ زائراً فقط وقد ظل عدد الزائرين في حالة منخفضة بالمقارنة مع فترة ما قبل انتقال مقر المكتبة من قرب المسجد الحرام، وقد سجّلت إحصائية عام ١٤٢٢هـ رقماً لا يتجاوز ٦٢٩٦ زائراً وهو أعلى رقم بعد عشر سنوات من انتقال مكتبة الحرم الى مقرها الثاني.

المكتبات الخاصة المهداة

تحتضن مكتبة الحرم الملكي الشريف مجموعات كبيرة من المكتبات الخاصة التي أهداها أصحابها لمكتبة الحرم، وجعلوها وقفاً على طلاب العلم والباحثين والقراء، ليستفيدوا مما حوت من مؤلفات ومخطوطات نادرة وكتب سواء في مجال البحث أو التأليف، وكان لهذه المكتبات الخاصة دور في إثراء مكتبة الحرم المكي الشريف بالمخطوطات النادرة والنفائس من الكتب والدوريات. وقد بلغ مجموع المكتبات الخاصة المهداة لمكتبة الحرم المكي الشريف ثلاثاً وأربعين مكتبة خاصة. وسنحاول هنا تسليط بعض الضوء على المكتبات التي أهداها أصحابها من علماء وأصحاب إختصاص ومهتمين بجمع الكتب وذلك على النحو التالي:

- **مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي**: (توفي ١٣٥٥هـ/١٩٣٦) وهو الشيخ عبد الستار بن عبد الجبار الدهلوي، أحد العلماء البارزين في مكة المكرمة وقد اشتغل بالتدريس في المسجد الحرام منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وكانت لديه مكتبة خاصة تحوي نفائس الكتب الدينية والادبية واللغوية والمخطوطات النادرة، وقد تراوح عددها حسب احصائيات متباينة بين نحو ١٧١٤ و ١٨٥٠ كتاباً بين مطبوع ومخطوط. وقد إنضمت مكتبة الشيخ عبد الستار الى مكتبة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي إنفاذاً لوصية منه، فزاد كتب مكتبة الأخير، ثم إنتقلت محتويات المكتبتين بما فيهما الى مكتبة الحرم المكي الشريف.
- **مكتبة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي**: (ت ١٣٨١/١٩٦١): وهو من علماء مكة المكرمة والمدرّس بالمسجد الحرام، وقد بدأ بتأسيس مكتبته الخاصة في بيته الواقع في أعلى جبل الصفا، وكانت تضم ذخائر الكتب المخطوطة والمطبوعة ومما يذكر من المخطوطات النادرة التي ضمتها مكتبة الشيخ عبد الوهاب مخطوطة (نشر النور والزهر) للشيخ عبد الله مرداد أبو الخير بخط المؤلف نفسه، وتضم تراجم مجموعة من اعيان وعلماء وأدباء الحجاز من القرن

العاشر وحتى القرن الرابع عشر الهجري. وقد تمت طباعة الكتاب عام ١٣٩٨هـ من قبل نادي الطائف الأدبي بعد أن قام كل الشيخ محمد سعيد العامودي والشيخ أحمد علي الكاظمي بتنقيح المخطوطة واختصارها حيث ظهرت في مجلدين.

ومن المخطوطات النادرة في هذه المكتبة أيضاً كتاب شرح ألفية العراقي للسخاوي في مجلدين بخط يده، وكتاب سبل الهدي والرشاد في أربعة أجزاء وثمانية مجلدات لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الشافعي (ت ٩٤٢هـ)، وقد جمعها من أكثر من ثلاثمائة كتاب، وقد كتبت بخط جيد في سنة ١٣٢٥، وكتاب السيرة الشامية، وكتاب منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم لعلي بن تاج الدين السخاوي، وكتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر ابن فهد بن محمد (ت ٨٨٥هـ) وكتاب بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى للعز بن النجم عمر بن فهد (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م)، وقد أرّخ فيه لمكة من سنة ٨٨٥ الى سنة ٩٢٢هـ، وغيرها من المخطوطات النادرة، كما ضمت إليها في عام ١٣٥٦هـ مكتبة الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي بعد وفاته، فأصبحت مكتبة ضخمة تضم أعداداً كبيرة من الكتب المخطوطة والمطبوعة، يزيد عددها على الأربعة آلاف كتاب.

وفي سنة ١٣٨١هـ توفي الشيخ عبد الوهاب بن عبد الجبار الدهلوي، صاحب المكتبة، وبقيت المكتبة في يد أبنائه فحافظوا عليها من الضياع والتلف. وكانت وزارة الأوقاف العامة التي كانت تشرف على مكتبة الحرم المكي الشريف وفي سياق جهودها من أجل توسعة المكتبة وزيادة محتوياتها من الكتب والمخطوطات، قد عرضت على أبناء الشيخ عبد الوهاب الدهلوي شراء مكتبة والدهم لضمها لمكتبة الحرم المكي، فوافقوا على بيعها للوزارة بمبلغ رمزي بما مقداره إثنين وعشرين ألف ريال سعودي، بالنظر الى المقتنيات الثمينة التي كانت تضمها مكتبة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي من مخطوطات نادرة وكتب خطية ومطبوعة، ولكن أبناء الشيخ عبد الوهاب الدهلوي ورغبة منهم في إفادة الناس والباحثين والعلماء من مكتبة والدهم قبلوا أن تنقل مقتنيات المكتبة وتضم الى مكتبة الحرم المكي الشريف.

وفي نوفمبر عام ١٩٦٥ تم بموجب أمر سامي تأسيس الرئاسة العامة للاشراف الديني على المسجد الحرام، انتقال مكتبة الحرم المكي الشريف الى الادارة الجديدة التي نقلتها من مبناها السابق في عمائر الأشراف القديمة المقابلة لمستشفى أجياد إلى عمائر مشروع الحرم المطل على الحرم المكي من جهة الصفا جوار دار الأرقم. وقد بلغت محتويات مكتبة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي قبل ضمها الى مكتبة الحرم المكي عام ١٣٨٧هـ نحو ٥٠٩٤ كتاباً بين مطبوع ومخطوط ولازالت كتب هذه المكتبة المعروفة بإسم مكتبة آل الدهلوي معروفة ومميزة ضمن مجموعة كتب مكتبة الحرم المكي الشريف.

ـ **مكتبة مراد رمزي**: وهي مكتبة خاصة أسسها العالم الملا مراد رمزي في داره منذ قدومه الى مكة المكرمة من بلاد فازان في مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وتحتوي هذه المكتبة على مجموعة من المخطوطات الاسلامية النادرة وبعض الكتب الإسلامية القيّمة. الا أن ثمة نقصاً كبيراً في المعلومات حول هذه المكتبة، حيث لم يرد ذكرها سوى في مقال نشرته مجلة المعرفة المجلد الثامن عام ١٩٢٦ للكاتب الهندي السيد سليمان الندوي. وكان الأخير قد زار مكة المكرمة والمدينة المنورة في ذي الحجة سنة ١٣٤٣هـ/يوليو ١٩٢٥، ونقل عنه المؤرخ الألماني سبيس حينما كتب بحثاً مطوّلاً عن مكتبات مكة المكرمة ونشر في مجلة جمعية أصدقاء الشرق الألمانية لعام ١٩٣٦. وكما يبدو فإن مقتنيات هذه المكتبة ومحتوياتها ضمّت الى مكتبة الحرم المكي الشريف في أوائل الدولة السعودية ضمن المكتبات الخاصة التي ضمّت وألحقت بمكتبة الحرم.

ـ **المكتبة الفضيلية**: أسسها أحد العلماء الهنود الذين قدموا لمكة المكرمة وأقاموا فيها، ولم يعلم تاريخ نشأتها، غير أنها كانت على ما يبدو موجودة منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري، كما لم يعرف إسم مؤسسها بالكامل، وكل ما يعرف عن هذه المكتبة هو أنها كانت تحوي مجموعة نادرة من الكتب المطبوعة وأعداداً كبيرة من الكتب الخطيّة المسجّلة بفهارس عديدة حسب الفنون، وهذه الفهارس تضم عدداً كبيراً من أسماء المخطوطات والكتب النادرة عن تاريخ مكة المكرمة بصورة خاصة والدراسات الاسلامية بصورة عامة. وفي كل الأحوال فهي تعد من المكتبات الخاصة المهمة في مكة المكرمة في تلك الفترة. وبعد وفاة مؤسسها انتقلت كتب هذه المكتبة الى مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي بمكة المكرمة، ومن جملة ما ضمّت من كتب نادرة مخطوطتي كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، وكتاب شفاء الغرام وكلاهما لتقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ولد بمكة المكرمة سنة ٧٧٥هـ وتوفي فيها سنة ٨٣٢هـ) وكما أشرنا سابقاً فإن مكتبة الشيخ عبد الستار بكل مقتنياتها بما في ذلك مكتبة الفضيلية قد ضمت الى مكتبة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي التي ضمت بدورها لمكتبة الحرم المكي الشريف في وقت لاحق.

المكتبات الخاصة المهداة شكلت العمود الفقري لمكتبة الحرم المكي وخزانة العلم والعلماء في مكة المكرمة

ـ **مكتبة الشيخ علي الكيلاني** (ت ١٣٦٧هـ): وقد ضمّت المكتبة لمكتبة عين زبيدة وأصبحت تحت إشراف هيئة من إدارة العين، ثم قامت الأخيرة بتسليم محتوياتها الى مكتبة الحرم المكي الشريف، إيماناً من المشرفين على ادارة العين بأن الفائدة الحقيقية من الكتب تتحقق في اطلاع الناس عليها وإفادة طلبة العلم وطلاب المعرفة والباحثين من رواد مكتبة الحرم. وكانت مكتبة الكيلاني تحتوي على ٩٣٨ كتاباً من الكتب المطبوعة والمخطوطة في مختلف الدراسات الاسلامية، واللغة العربية وآدابها، وتضم تلك المكتبة بعض النفائس مثل الفتاوي الأسعدية لأسعد المدني، والأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية لمحي الدين حسن الملاح، وكتاب مباحث الوقف لمحمد بن زيد الأنياني.

ـ **مكتبة الشيخ حسن بن علي الأدريسي** (ت ١٩٦٨): وكان لديه مكتبة خاصة في منزله ضمّ جزء منها بعد وفاته الى مكتبة الحرم المكي الشريف بناءً على وصيته، وقيل بأن الجزء الموقوف كان ٦٢ كتاباً مطبوعاً وعدداً من المخطوطات القيّمة، وقد أصبحت كتب هذه المكتبة وقفاً على العلماء وطلاب العلم من رواد مكتبة الحرم المكي الشريف من سكان مكة المكرمة وغيرهم من الزوّار والباحثين.

ـ **مكتبة الشيخ عبد الرحمن يحي المعلمي** (١٣١٣ ـ ١٣٨٦هـ): كان مديراً لمكتبة الحرم المكي الشريف، وبعد وفاته وجد في وصيته أنه جعل كتب مكتبته هدية لمكتبة الحرم المكي الشريف، وعدد كتبها آنذاك ستمائة وخمسة وعشرون وسبع عشرة مخطوطة مصوّرة،

وذلك في الثالث من محرم سنة ١٣٨٧هـ، وبذلك أصبحت مكتبة الشيخ المعلمي جزءاً من مقتنيات مكتبة الحرم المكي، وتم تسجيلها في سجلاتها وتشمل المخطوطات التي أهداها الشيخ المعلمي على كتب نوادر في علوم الشريعة، والسيرة والتاريخ الاسلامي، منها كتاب تنزيه الإمام الشافعي عن مطاعن الكوثري..

- مكتبة الشيخ عبد الغني زمزمي (ت ١٣٨٨): كل ما يعرف عن هذه المكتبة، بسبب قلة المعلومات حولها، أنها جعلت عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م هدية الى مكتبة الحرم المكي الشريف من قبل ورثة الشيخ زمزمي ليفيد منها العلماء وطلاب العلم والباحثين من أهل مكة وغيرها، وكانت المكتبة تضم مائة وإثنين وأربعين كتاباً مطبوعاً حسبما تظهره سجلات مكتبة الحرم المكي الشريف.

- مكتبة الشيخ عبد الرحيم صديق (١٣٣٤ - ١٤٠٨): وكان يشغل منصب مدير كتاب العدل بمكة المكرمة، ثم أختير فيما بعد مديراً لمكتب الأشراف آل غالب بمكة المكرمة. وكان لفضيلته مكتبة خاصة في منزله بالقرب من المسجد الحرام، وقد إضطر فيما بعد لنقلها في منزل له في منى، وذلك بعد أن أزيل منزله ضمن البيوت المزالة في سياق مشروع توسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة. وكان الشيخ صديق قد خصص جزءاً كبيراً من منزله لمكتبته الخاصة، التي كانت تعتبر من أهم المكتبات في مكة المكرمة حيث كانت تحتوي على مجموعة نادرة من المصوّرات المخطوطة والكتب المطبوعة القيمة في العلوم الشرعية، وخاصة علوم الحديث وتراجم رجاله، واللغة العربية وآدابها، والتاريخ الاسلامي، والسيرة النبوية والتراجم، ويقدر عددها بحوالي ١٦٧٠ عنواناً في أكثر من ستة آلاف مجلد من الكتب المطبوعة النادرة، وحوالي ألف وخمسمائة مصوّرة ورقية لكتب خطية نادرة، كان الشيخ عبد الرحيم قد جمعها من مناطق عديدة من العالم الاسلامي وأوروبا وأمريكا، وذلك إما شراءً أو تصويراً أو تبادلاً.

ومما يجب الاشارة إليه، أن مكتبة الشيخ عبد الرحيم صديق ورغم كونها مكتبة خاصة الا أن أبوابها كانت مشرعة أمام القراء والباحثين من أهل العلم، وكان يشرف عليها بنفسه ويقضي فيها معظم أوقاته. ولعل أهمية المكتبة تتأكد من قيام جامعة أم القرى بتصوير بعض الكتب والمصوّرات النادرة من هذه المكتبة لصالح المكتبة المركزية للجامعة. وبعد وفاة الشيخ عبد الرحيم عام ١٤٠٨هـ وجد في وصيته أنه أمر بتسليم كامل المكتبة بما فيها من مصوّرات ومطبوعات الى مكتبة الحرم المكي، وجعلها وقفاً على هذه المكتبة، وقد تم بالفعل استلام هذه المكتبة من قبل إدارة مكتبة الحرم المكي الشريف وتسجيلها ضمن سجلات المكتبة.

- مكتبة الشيخ ياسين بن جميل العظمة (١٣٣٩ - ١٤٠٦): ولد الشيخ ياسين بمكة المكرمة، وكان يمتلك مكتبة خاصة في منزله غنية بالكتب في مختلف صنوف وفروع العلم والمعرفة من الدراسات الاسلامية واللغة العربية والسيرة النبوية والتاريخ الاسلامي والتارخ العام وبعض الكتب العلمية المتفرقة. وقد أوصى بأن تسلّم مكتبته لمكتبة الحرم المكي الشريف، وجعلها وقفاً على طلاب العلم، وقام ورثة الشيخ ياسين العظمة بتسليم هذه المكتبة الى مكتبة الحرم المكي، وكان مجموع كتبها التي سلّمت الى المكتبة ٧٠٨٩ كتاباً، ومعظمها كتب قيمة ومجلّدة، وقد مثّلت إضافة هذه المكتبة الى مقتنيات مكتبة الحرم المكي الشريف اضافة كمية ونوعية، فقد إزدادت أعداد كتب مكتبة الحرم زيادة عظيمة، كما اكتسبت أهمية لما تحتويه هذه المكتبة من كتب مفيدة ونادرة بجانب كثرة عددها.

- مكتبة الشيخ إسماعيل جمال حريري (١٣٣٤ - ١٤٠٥هـ): ولد بمكة المكرمة وبها نشأ وترعرع وقد التحق بمدرسة الفلاح المشهورة وكانت من أوائل إن لم تكن أول مدرسة نظامية في الحجاز قاطبة. وكان الشيخ إسماعيل قد أتم حفظ القرآن الكريم ودرس الكثير من العلوم الشرعية والعربية والسيرة النبوية وحفظ بعض المتون العلمية ومنها ألفية بن مالك في النحو. ثم واصل دراسته على علماء المسجد الحرام بمكة المكرمة ثم على علماء المسجد النبوي الشريف. ومن العلماء الذين درس عليهم في مكة المكرمة العلاّمة السيد علوي المالكي، والشيخ محمد أمين كتبي، والشيخ حسن محمد المشاط، والشيخ محمد نور سيف، وحصل منهم على إجازات علمية أهلته للتدريس في المدارس الحكومية، وقد اختير مديراً للجمارك بالمدينة المنورة، ثم عمل بالتجارة والطوافة.

ونظراً لاهتمامه العلمي والادبي والثقافي فقد تكوّنت لديه مكتبة خاصة ضمّت عدداً من الكتب القيمة في مختلف العلوم الشرعية والتاريخية والأدبية. وبعد أن إنتقل الى جوار ربه، قام ورثته بإهداء مكتبته الى مكتبة الحرم المكي الشريف، وقد بلغ مجموع محتوياتها ١٨١١ كتاباً وضُمّت ضمن مجموعات المكتبات الخاصة بمكتبة الحرم المكي الشريف.

علماء الحجاز أوقفوا مكتباتهم رغبة في إفادة طلاب العلم ونيل الأجر وكانت تحوي ذخائر ونوادر المخطوطات النفيسة

- مكتبة الدكتور محمد رزيق: وهي من المكتبات الخاصة التي أهديت الى مكتبة الحرم المكي الشريف وكانت تضم نحو ألف كتاب في علوم مختلفة وقد أوقفها الدكتور رزيق لتكون محل إستفادة من طلاب العلم والعلماء والباحثين.

- مكتبة الشيخ علي الهندي (١٣٣٠ - ١٤١٩): له كتاب (زهر الخمائل في تراجم علماء حائل) مسقط رأسه، وكانت له مكتبة خاصة حوت على ٢٩٦٠ كتاباً وبعض المخطوطات ورسائل من تأليفه في القضاء، وبعد وفاته أهديت مكتبته الخاصة لمكتبة الحرم المكي الشريف.

- مكتبة الشيخ أحمد العربي (١٣٢٣ - ١٤٠٩): من مواليد المدينة المنورة وحاصل على شهادة العالمية من الأزهر الشريف، وكان مديراً عاماً للأوقاف، وقد أهديت مكتبته الخاصة لمكتبة الحرم المكي الشريف بعد وفاته، وكانت تضم عدداً من المخطوطات والكتب النادرة والقيمة.

- مكتبة الاستاذ محمد أحمد فقي (١٣٤٢ - ١٤٠٧): وهي من المكتبات الخاصة الهامة في مكة المكرمة المهداة الى مكتبة الحرم المكي الشريف، وتضم ٢١٥٧ عنواناً في حوالي ستة آلاف مجلد، وقد حوت من نفائس الكتب ومصادرالمعرفة في شتى صنوف العلم وحقوله المختلفة ومشاربه المتنوعة، وقد اعتبر ضمها الى مقتنيات مكتبة الحرم المكي اضافة كمية ونوعية.

وهناك أكثر من عشرين مكتبة خاصة متفاوتة الحجم والنوعية أهداها أصحابها الى مكتبة الحرم المكي الشريف غير أن المعلومات حولها قليلة أو شبه معدومة.

راعنا ونحن نواجه حملات العنف والتفجير والإغتيالات في شوارع مدن المملكة، وفي حين تتخذ السلطات الأمنيّة احتياطات قصوى بوضع السيارات المصفحة والجنود عند المراكز الحساسة وتقيم الحواجز على الطرق السريعة وداخل المدن.. تتفتّق عبقرية وزير الداخلية في مكافحة التطرف والعنف، لا بوقف اعتراضه على الإصلاحات السياسية، ولا بتوسيع هامش النقد والحرية العامّة.. بل باستخدام منطق (داوها بالتي كانت هي الدّاء). فرموز التطرّف ومنظّري التشدّد داخل البلاد ضد أبناء وطنهم، استدعوا على عجل ليتسابقوا في أجهزة الإعلام المحلية والتابعة للسلطة، ليخطبوا في الناس وليعقلنوا دعاة العنف والقائمين عليه، ولكنهم لن يزيدوهم إلاّ خبالا.

فبدل أن تقمع أصوات التطرّف ورموزها، تفرش لهم سلطة الأمير نايف السجاد الأحمر، ليقدموا مزيداً من حقن الثقافة المتطرفة والتي يتمّ تأصيلها فيندفع شباب السلف الى حيث القتل وإهدار الدم، ضد المواطنين المخالفين لهم في الفكر والمعتقد، وضدّ الآخر أياً كان بمن فيهم رموز الدولة.

كيف يصبح المتطرفون المنظرون الرافضون إدانة العنف قادة ترشيد الشارع؟ كيف يصبح من لم يقبل بالآخر في حياته ويدعو لقتله واستئصاله بالسيف وغيره، داعية حوار ورمز صحوة ووسطية!! عن أي وسطية يتحدث هؤلاء؟ وأي صحوة أتونا بها وابتلينا بآثارها؟

هذا المقال لسعود عبد الله الجارح، يحذّر من تسليم رقاب وعقول مواطنينا لمن كانوا بالأمس في السجون بسبب تطرّفهم وعنفهم، ويوضّح بما لا يقبل الشك، بأن رموز (الصحوة السلفية) أو الذين يحبون أن يتسمّوا بذلك، لا يختلفون عمن فجّر قنابله ونفسه في الرياض والخبر وغيرهما من الناحية الفكرية والعقدية. بل أكثر من هذا، إن هؤلاء الصحويين عماد تنظير التطرّف، ولم يتخلّوا عن أفكارهم السابقة، ولم يوضحوا لنا ما هي أفكارهم الحالية التي يؤمنون بها. لم يعلنوا أنهم مع الحوار ولا مع المشاركة السياسية ولا مع المساواة بين المواطنين ولا مع نبذ العنف ـ على الأقل داخل المملكة ـ وبالتالي فهم أكثر وبالاً على الوطن والمواطنين.

الدكتور سفر الحوالي نموذجاً

علماء الصحوة السلفيون والإرهاب

سعود عبدالله الجارح

ما هو الفرق بين الفكر الذي يتبناه الدكتور سفر الحوالي و فكر مجموعة الاسلامويين التي تم القبض عليها في المدينة المنورة؟

الجواب هو ان لا فرق بينهم على الإطلاق من ناحية الأسس الفكرية التي يبنون أحكامهم عليها. فكلهم يحملون نفس الأيديولوجيا المتطرفة والقائمة على أحادية الرأي وإقصاء الآخر، والمتكئة على كون الجهاد هو اللغة الوحيدة التي يجب على المسلمين في شتى بقاع الأرض أن يستخدموها في حوارهم مع الحضارة الغربية المهيمنة على بقاع العالم.

الفرق الوحيد الذي يميز الدكتور الحوالي عن مشايخة تنظيم (الموحدون) هو أنه لا يجد بأساً في أن يطلع على مؤلفات الكتاب الغربيين في سبيل أخذ الاستشهادات الانتقائية منها بشكل يدعم وجهة نظره التي يطرحها على شكل الحقيقة المطلقة التي لا تقبل نقاشاً كما هو شأن الدوغمائيين دائما.

يقسم الحوالي الدول الإسلامية الى قسمين لا ثالث لهما، أما القسم الأول فهو دولة العقيدة التي تجعل من الجهاد غايتها، والقسم الثاني هو دولة الرفاهية، وهي الدولة التي تكون غايتها منصبة على تحقيق الشهوات الدنيوية.

ولعل بعض الدهاة يقول في أي الدولتين يصنف الحوالي الدولة السعودية التي ينتمي اليها؟

لن نجيب على هذا السؤال بروئية شخصية أو اعتقادات ظنية، بل سنثبت نصاً للحوالي به جواب على هذا السؤال، ونحن إذا نورد هذا النص على طوله، فما ذلك إلا لكي يتمكن القاريء من فهم فكر هذا الرجل كما هو ومن غير وساطة بين القاريء وكاتب المقال، فالوضع في الدولة السعودية كما يقول الحوالي:

(لقد ظهر الكفر والإلحاد في صحفنا، وفشا المنكر في نوادينا ودُعي إلى الزنا في إذاعتنا وتلفزيوننا، واستبحنا الربا حتى أن بنوك دول الكفر لا تبعد عن بيت الله الحرام إلا خطوات معدودات. أما التحاكم إلى الشرع – تلك الدعوى القديمة– فالحق أنه لم يبق للشريعة عندنا إلا ما يُسميه أصحاب الطاغوت الوضعي الأحوال الشخصية وبعض الحدود التي غرضها ضبط الأمن، ومنذ أشهر لم نسمع شيئاً منهم عن حد أقيم، ومع ذلك وضعنا الأغلال الثقيلة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصفدنا الدعوة والموعظة بالقيود المحكمة، وهذا من استحكام الخذلان وشدة الهوان ومن يُهِن الله فما له من مكرِم)(١). وبعد ان يذكر الحوالي تقسيمه للدول الى دول الرفاهية ودول العقيدة، يأتي حكمه على الدولة السعودية بشكل لا يقبل التأويل في قوله: (وحين انحازت فلسفة التنمية وخططها إلى الأخير منهما (أي دولة الرفاهية) ولم يبق للأول (أي دولة العقيدة) إلا شعارات إعلامية وهياكل تقليدية تتآكل مع الزمن، كان لا بد أن تقع السنة الربانية: سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه حتى ترجعوا إلى دينكم)(٢).

والآن بعد أن أوردنا الخطوط العامة لفكر الحوالي فلنحاول أن نفصل ما أجملناه في السابق، فإطلاق الأحكام على عواهنه ليس بالمنهج الذي يرضي القاريء، فلا بد من ذكر الإثباتات التي رسمنا بواسطتها تلك الخطوط لكي نتخلص من منزلق إطلاق الأحكام الجزافية.

يقول الحوالي: (إن من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الجهاد ماض إلى قيام الساعة، مع كل من حمل الرايةَ لنصرة الدين وصد عدوان الكافرين براً كان أو فاجرا)(٣). ومن هنا فلا مبرر للسلام بين المسلمين وباقي العالم، وموقف الحوالي من

مؤتمرات السلام هو كما يقول: (فلا حرج ولا تردد في الإجابة القاطعة الواضحة عن سؤال: ما هو موقف الإسلاميين من مؤتمر السلام؟ فهو الرفض الحاسم والانهيار الجازم ليس عنادًا ولا تصلبًا ولكنه موقف عقدي محتوم)(٤).

الموقف العقدي المحتوم، هذا هو مفتاح فكر الحوالي، فموقفه نابع من عقيدته، وهو محتوم لأن الله حتم هذا الأمر على المسلمين جميعاً، فالعداوة بين المسلمين وغيرهم لن تزول أبداً مهما قدم الآخرون من تنازلات، ومن هنا فلا غرابة ان قال الحوالي: (لقد قال بوش في مؤتمر مدريد: إن غرض المؤتمر ليس إنهاء الحرب بين الطرفين وإنما إنهاء العداوة. ولكن الله تعالى يكذب هذا القول وهذه الدعوى، فسيظل المسلمون يعادونهم)(٥).

هذا هو موقف الحوالي من مؤتمرات السلام، وموقفه من إنهاء العداوة بين المسلمين والآخرين. ولكن هل هذا الرأي وجهة نظر شخصية للحوالي أو هي فتوى أفتى بها؟ والإجابة ان هذا الموقف فتوى يتبناها الحوالي ويعلنها بكل صراحة فهو يقول: (إذا تركنا الجهاد في هذه المرحلة وآمنا بأن العداوة قد انتهت، فنحن ينطبق علينا الارتداد عما أمر الله تبارك وتعالى به)(٦). وبالتالي فالحوالي يجزم بأنه يعطي حكم الله تعالى في هذه المسألة، والمفتي كما يقول رفيق دربه سلمان العوده (موقع عن رب العالمين)(٧)، فلا عجب ان أطلق الحوالي حكم الارتداد بالصورة القطعية السابقة. وهذه الجراءة على الله تعالى ليست بالأمر المستغرب على منظري الصحوة (السلفية)، فتديين السياسة هو منهجهم الذي يصرحون به ومنذ البدايات.

ولكن ماذا عن موقف الحوالي من الإرهاب ؟

الإجابة على هذا السؤال هي لب الموضوع، فالإرهاب هو قضيتنا الشاغلة الآن، والحوالي صريح في موقفه، فالإرهاب بنظره أمر مطلوب وهو من الدين، وتعريف الإرهاب بنظره إنه: (عمل جهادي يُحدث شيئاً من النكاية في العدو بغرض الانتقام والردع)(٨)، وعلى ضوء التعريف السابق فالإسلام دين الإرهاب، ومن قال بخلاف ذلك فربما اعتبره الدكتور الحوالي عميلاً أو منافقاً، إذ يقول أستاذ العقيدة السابق: (ثم يتحدث من يتحدث في الصحف أو فوق المنابر من أهل الإسلام عن تأييد الحملة على الإرهاب، ووصف المجاهدين بأنهم إرهابيون، وينزلقون في منزلق المصطلحات الخدّاعة فيقولون إن الله حرم الإرهاب، أو أن دين الإسلام بريء من الإرهاب، مع أن إرهاب أعداء الله في كتاب الله مطلوب: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم. والنصر بالرعب من خصائص هذا النبي الكريم وأمته صلى الله عليه وعليهم وسلم. والله تعالى يقول: لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله. أما أحزاب الكفر فكلٌ منها يفسر الإرهاب كما يريد)(٩).

وبعد ان عرفنا تعريف الحوالي للإرهاب وموقفه منه بشكل عام، فلنفصل بشكل أكبر ولنعرض موقفه من أحداث ١١ سبتمبر والتي اتفق أطراف النزاع بها على تخيير العالم في الإنضمام الى أحد المعسكرين المتنازعين. موقف الحوالي من أحداث ١١ سبتمبر هو موقف حذر للغاية، فهو يعلم ان الحكومة السعودية والامريكية متفقتان على مطاردة كل من يحرض على الإرهاب، وهو لا يرغب في ان يكون مطارداً بالطبع، ولا شك انه لا يود أن يودع بالسجن، وخصوصاً وانه وقد جرب مرارة الاعتقال بسبب تطرفه السابق في التسعينات من القرن الماضي.

ومن ثم فهو يرفض ان ينسب هذه الأعمال الإرهابية لتنظيم القاعدة، مما يعطيه مجالاً واسعاً للمناورة والدفاع عن هذا التنظيم بشكل أو بآخر، وحتى لو ثبتت هذه الأعمال عليهم، فهم ليسوا بالمخطئين في نظره، فهم منفذين لأمر الله تعالى بالقصاص من المعتدي، هذا ما يمكن ان نفهمه من قول الحوالي: (هل فعل هؤلاء بأمريكا — إذا ثبت — تَجَاوَزَ ما صنعت أمريكا بالمسلمين في كل مكان؟ ندع الإجابة للقراء ونقول: إن قول الله تعالى: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)(١٠).

ولا يخفي الحوالي فرحته بأحداث ١١ سبتمبر، فيقول: (إن القلعة الحصينة التي بناها الغرب في قرون يمكن اختراقها بالحمام الزاجل!، وإن الجيوش الغفيرة يمكن هزيمتها بمئات من طالبي الجنة!، وأن التقنية مهما تطورت لا يمكن أن تقاوم الروح المعنوية للمؤمنين)(١١). هذه الفرحة ليست بالمستغربة على الحوالي، فهو يؤمن بأن الإرهاب هو خيار المرحلة الحالية للمسلمين في مواجهة العالم، وهو الوسيلة الوحيدة التي ستمكن المسلمين من استرجاع حقوقهم المستلبة، يقول الحوالي: (إن الحديث عن الحقوق المشروعة والقرارات الدولية الذي استنزف ويستنزف من الإعلام العربي ما يملأ البحار لم يجد أذنًا — ولا عُشرَ أذن — كتلك التي أحدثها انفجار مشاة البحرية في بيروت والهجوم على ثكناتهم في مقديشو، بهذه اللغة وحدها يسحب الكفر أذيال الهزيمة وتنحني هامات الخواجات العتيّة). الى أن يقول: (وإن أي خطاب للكفر لا يستخدم هذه اللغة هو لغو من القول وزور من العمل)(١٢).

وإذا كان الإرهاب خيار المرحلة الحالية، فإن الخيار القادم هو جهاد الطلب، فيطالب الحوالي بمجموعة من العلماء تهدف: (لدراسة أفضل وسيلة لاستقلالنا للدفاع عن أنفسنا، وهي خطوة للمرحلة الواجبة التي هي جهاد الطلب بإذن الله)(١٣) ، ولا غرابة في أن يتكلم الحوالي عن جهاد الطلب في وقت يتكلم فيه العالم بأسره عن السلام، فالأصل القطعي بالمسألة في نظره هو ان: (لا ريب عند كل مسلم أن الله تعالى إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم ليحارب المشركين لا ليحارب بهم، وأمره أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه، وهذا هو الأصل القطعي في المسألة)(١٤). وهذه النظرة التي تختزل الدين الإسلامي بالسيف هي نظرة مشتركة بين أساطين الصحويين بشكل لا خلاف فيه.

ولو أراد منظرو تنظيم القاعدة أن يستندوا لقول أحد غيرهم في تحريم تعاون الدول الإسلامية مع الشرعية الدولية في حربها ضد الإرهاب، فلن يجدوا أفضل من قول الحوالي في فترة الحرب الامريكية ضد تنظيم القاعدة وطالبان في أفغانستان، حين قال: (وليس الحل أن نقف مع العدو عليها فهذا حرام في كل حال)(١٥)، و قوله: (إن نصرة الكفار على المسلمين — بأي نوع من أنواع النصرة أو المعاونة ولو كانت بالكلام المجرد — هي كفر بواح، ونفاق صراح، وفاعلها مرتكب لناقض من نواقض الإسلام — كما نص عليه أئمة الدعوة وغيرهم — غير مؤمن بعقيدة الولاء والبراء)(١٦).

ولو أراد أفراد القاعدة ترويج قول يحرم التبليغ عن المشاركين في أعمالها ويجرم الناصحين والمحذرين من أخطارها، فلن يجدوا أفضل قولاً من الدكتور الحوالي عندما قال: (إن المسلم إذا اجتهد في نصرة الدين والانتقام لإخوانه المسلمين من الكفار الظالمين، وإحداث النكاية فيهم، فأخطأ فهو مأجور على نيته وإن كان مخطئاً في عمله، وليس هو كالمحارب العادي الذي غرضه نهب المال، وهتك العرض، وقطع السبيل)(١٧). وقوله: (ومن استحل غيبتهم والوقوع في أعراضهم مسايرة لأعداء الله ومجاراة للمنافقين والمفسدين في الأرض، فهو أشد إثماً ممن فعل ذلك لحظ نفسه وهواه. أما تكفيرهم — صريحاً أو إيماءً — فهو من كبائر الذنوب)(١٨).

بعد هذا كله هل بقي شك في ان الحوالي والخضير وجهان لعملة واحدة؟

قد يقول قائل ان بعض النصوص السابق ذكرها على لسان الحوالي قديمة وقد كتبها في وقت سابق، وأقول ان الحوالي لم ينشر ما يثبت رجوعه عن قديمه، أو تراجعه عن ماضيه، بل إننا لم نقرأ له موقفاً يدين تفجيرات الرياض بشكل واضح، أو فتوى يجرم فيها الخلية الإرهابية التي قامت بالأعمال الأخيرة، بل انه أصرَ على توقير أسامة بن لادن في مقابلته مع قناة (إقرأ) ووصفه بالشيخ أسامة، واعتبره من أهل الفضل. فإن لم يعلن الدكتور الحوالي براءته من فكره السابق فلا تنكروا علينا إذا طالبنا الحكومة السعودية بالتدخل لكفّ شرّ فكره عن أبنائنا، فالفكر الذي يطرحه الحوالي هو ذات الفكر الذي يطرحه الخضير والفهد والخالدي، والفرق الفعلي بين الفكرين ان أحدهم ثبت أنه حول النظرية الى تطبيق، بينما الآخر لم يثبت عليه هذا الشيء حالياً على الأقل، والأيام حبلى بالمفاجآت!

هوامش:

(١) كشف الغمة عن علماء الأمة، سفر الحوالي، ص ٦١
(٢) كشف الغمة عن علماء الأمة، سفر الحوالي، ص ٦١
(٣) بيان للأمة عن الأحداث ومعه خطاب مفتوح للرئيس الأمريكي بوش، سفر الحوالي، ص٦
(٤) القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى، سفر الحوالي، ص ٢٣
(٥) القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى، سفر الحوالي، ص ٢٥
(٦) القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى، سفر الحوالي، ص ٢٥
(٧) من يملك حق الاجتهاد، سلمان العودة، ص٩
(٨) بيان للأمة عن الأحداث ومعه خطاب مفتوح للرئيس الأمريكي بوش، سفر الحوالي، ص٧
(٩) بيان للأمة عن الأحداث ومعه خطاب مفتوح للرئيس الأمريكي بوش، سفر الحوالي، ص٦
(١٠) بيان للأمة عن الأحداث ومعه خطاب مفتوح للرئيس الأمريكي بوش، سفر الحوالي، ص١٠
(١١) بيان للأمة عن الأحداث ومعه خطاب مفتوح للرئيس الأمريكي بوش، سفر الحوالي، ص٢٦
(١٢)القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى، سفر الحوالي، ص ٣
(١٣) كشف الغمة عن علماء الامة، سفر الحوالي، ص ٥٧
(١٤) كشف الغمة عن علماء الامة، سفر الحوالي، ص ٦٠
(١٥) بيان للأمة عن الأحداث ومعه خطاب مفتوح للرئيس الأمريكي بوش، سفر الحوالي، ص١٠
(١٦) بيان للأمة عن الأحداث ومعه خطاب مفتوح للرئيس الأمريكي بوش، سفر الحوالي، ص٥
(١٧) بيان للأمة عن الأحداث ومعه خطاب مفتوح للرئيس الأمريكي بوش، سفر الحوالي، ص١١
(١٨) بيان للأمة عن الأحداث ومعه خطاب مفتوح للرئيس الأمريكي بوش، سفر الحوالي، ص١١

نقلاً عن (إيلاف)
٥ يونيو ٢٠٠٣

ستيفن شوارتز في كتابه الأخير عن تحوّل آل سعود الى الإرهاب

الملكية السعودية يجب أن تكون مجرد رمز مركزي للدولة

الكتابات حول المخزون الراديكالي في أدبيات التيار الديني السلفي المتشدد أخذت أبعاداً واسعة، وسيطرت على إهتمام عدد كبير من الباحثين والمراقبين من أجل العثور على مزيد من الأدلة حول علاقة الوهابية بالعنف السياسي، واكتشاف مكامن جديدة في هذه العقيدة من أجل درء أخطاء وأخطار غير مستدركة في قائمة المخاطر المتوقعة. ستيفن شوارتشر يعتبر أحد الباحثين الأميركيين المتخصصين في الإسلام السياسي وبوجه التحديد الوهابية السياسية، وهو من كبار المحللين السياسيين العاملين في مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية ومقرّها في واشنطن العاصمة، ويعمل بصفة مراسل صحافي عمل لحساب صحيفة سان فرانسيسكو كرونيكل، وقد غطّى أحداث البلقان في التسعينيات، وله كتابات عديدة كان آخرها كتاب بعنوان (وجها الإسلام: البيت السعودي من التقليدية الى الارهاب، وقد صدر في نهاية عام ٢٠٠٢.

في كلمة له أمام منبر الشرق الأوسط في نيويورك، تحدث شوارتز في نهاية فبراير الماضي عن تصاعد الخطر الوهابي ضد الولايات المتحدة والعالم. وقال بأن القاعدة تمثّل الوهابية في شكلها الأشدّ وضوحاً، كعقيدة أصولية عنفية ترفض كافة أشكال الاسلام غير الوهابي، وخصوصاً الاشكال الروحية للاسلام. الوهابية مذهب توسعي غير متسامح مع الشيعة، واليهودية والمسيحية والهندوسية، وفي الواقع الوهابيون يسعون لتحدي وتدمير كافة الأديان والعقائد (بما في ذلك الاسلامية منها). فالتهديد الوهابي السعودي لا يجب التقليل من شأنه، فهو يتطلب إهتمامنا الشديد، حسب شوارتز.

وقد تطرق شوارتز الى تاريخ العنف الوهابي، وقال بأنه بخلاف الاعتقادات الشائعة في الغرب، فإن الوهابية ليست عقيدة اسلامية قديمة، وأن العائلة السعودية لا تتمتع بمصداقية تاريخية حقيقية لحكم الجزيرة العربية. وفي واقع الأمر، فإنه منذ تشكل التحالف الوهابي السعودي قبل ٢٥٠ عاماً وحتى إقامة الدولة السعودية الحديثة، فإن الحركة الوهابية السعودية انتشرت عبر الجزيرة العربية من خلال الحاق الهزيمة البشعة واستعباد العناصر غير الوهابية. يقول شوارتز بان الجذور المدرسية للقرن التاسع عشر مازالت باقية وتؤكد على التنامي الدموي للدولة الوهابية السعودية. يقول شوارتز(كتب توماس هوب، الكاتب البريطاني، بصورة موسّعة حول انتشار الوهابية في الشرق الأوسط. ففي روايته بعنوان أناستاسيوس، وصف هوب العناصر الوهابية بأنهم متطرفون متطهّرون يميلون الى الهيمنة على العالم الاسلامي بتبني تكتيكات القاعدة المحسوبة).

ويقول شوارتز بأن الاتفاق السياسي والثيولوجي بين آل سعود والوهابيين نجم عن سقوط مكة المكرمة للمرة الثانية والأخيرة عام ١٩٢٤، معززة قبضتهم على السلطة. وبعد فتح مكة، فإن الثروة النفطية الهائلة للمملكة إستعملت لتصدير الأيديولوجية الوهابية الراديكالية عبر العالم. ويضيف بأنه حتى بعد الحادي عشر من سبتمبر فإن البيروقراطية الوهابية في السعودية استمرت في تنشئة التطرف الديني. فكثير من الانفجارات التي جرت في مناطق متفرقة من العالم بعد ذلك التاريخ كانت تموّل من قبل جماعات وهابية. فالمملكة حسب شوارتز هي مركز العصب للتربية العقائدية والتحريض والتمويل الارهابي.

من وقت لآخر، حسب شوارتز، حاولت النخبة السعودية إرباك الرأي العام الغربي بإدعاء أنها هي الأخرى هدفاً للارهاب الديني، وليس ذلك سوى موقفاً تعبيرياً فارغاً لاخفاء تعقيدات الارهاب في هذا البد. فالسعودية كونها دولة بوليسية، فإن العائلة المالكة كان بإمكانها منذ زمن طويل تخليص نفسها من العناصر المتطرفة. ولكن الحقيقة الفاضحة هي أن الجماعات الإرهابية الدولية مثل القاعدة تتلقى دعماً مباشراً من العلماء السعوديين. ومن أجل استعادة مصداقيتهم في عيون الاتجاهات الأكثر رجعية بعد سنوات من الانحطاط في المصداقية، فإن العائلة المالكة بدأت بحملة دولية طموحة لدعم المناصرين للعنف والتطرف في الجزائر والفلبين.

ويخلص شوارتز الى أن القاعدة لن تعدم الوسيلة للحصول على المال والمنتمين في السعودية. وواشنطن، حسب شوارتز، بحاجة الى وضع حد لأوهامها بان العائلة المالكة السعودية هي قوة معتدلة في السياسة السعودية، بينما الواقع هو أنها هي التي وفّرت غطاءً مالياً وحماية صلبة للايديولوجية الفاشستية. لسوء الحظ، فإن السعودية لا تعاني من نقص في عدد التسويغيين الذرائعيين.

وتحدث شوارتز عن مستقبل الخطر الكامن في الوهابية وقال، بعد عقود من الاضطهاد الثيوقراطي، فإن الغالبية العظمى من الشعب السعودي قد سأموا هذا الوضع للأسباب التالية: أولاً أن الأقلية الشيعية في المناطق الجنوبية والشرقية وصلت الى حدّ الإنهاك من الإضطهاد العنفي الذي عانت منه على أيدي العلماء الوهابيين. ثانياً: أن الشباب السعودي يريد العيش في مجتمع حديث يمكّنهم من إستغلال ومواهبهم وطاقاتهم من أجل بناء مستقبل مزدهر. ثالثاً وأخيراً، فإن العلماء غير الوهابيين قد بدأوا فعلياً بدعوة العائلة المالكة من أجل رفض وبصورة رسمية الدين الرسمي غير المتسامح واستبداله بتقاليد اسلامية تعددية على الطريقة العثمانية. ويظهر بوضوح أن آلافاً من الشباب بدأوا يتوجهون الى الصوفية كتعبير عن الاحتجاج ضد المؤسسة الدينية المؤطرة.

فالانتقال الى النموذج البرلماني المالاوي المفتوح من دولة وسيطة حالياً لن يكون كارثياً. فالملكية السعودية يمكن لها أن تبقى كإطار رمزي، مع تركيز السلطة في الجهاز التشريعي التمثيلي. لكن المناصرين لهذا الرأي غالباً ما يستحضرون النموذج الايراني كنتيجة محتملة. وعلى أية حال، فإن هذا مجرد مثال تاريخي خاطيء، حيث أن الشعب الايراني لم يواجه قيودا صارمة للقانون الاسلامي قبل نشوء الجمهورية الاسلامية. فالشعب السعودي قد جرّب هذه الصرامة والتشدد بصورة وثيقة ولذلك سأم منها.

النتيجة التي أراد شوارتز الوصول اليها من عرضه للخطر الوهابي هي أن السعودية وعقائدها الاسلامية المسلحة تمثل خطراً حاضراً وواضحاً على الولايات المتحدة والمجتمع الدولي. وشدد قائلا على أن الأميركيين كإدارة يجب أن لا تقبل بعد الآن الوضع الراهن ويجب أن تضغط بقوة على المملكة من أجل قطع روابطها مع الارهاب.

مشكلتنا هي مع الفكر الوهابي

كتب أحد الصحافيين السعوديين مقالاً حدّد فيه المشكلة الفكرية التي أوقعت المملكة نفسها فيها بأنها تعود الى فكر إبن تيمية، وذلك في مقال حمل عنوان: الوطن والمواطن أهم من إبن تيمية. فكرة المقال تقوم على أساس أن الفكر الوهابي وريث فكر ابن تيمية، وقد طوّره الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليكون النسخة السعودية (الصحيح النجدية) التي قامت الدولة على أسسها. وقد خلص الكاتب الى أن (أزمتنا مع ابن تيمية) وكأنه أراد القول بأنها مع (الوهابية).

لقد تحددت معالم الفكر الوهابي فاقعة في بعدين رئيسيين لم يوجدا في غيره من مذاهب معاصرة:

الأول - التكفير والقتال. فلم يوجد في الأولين والآخرين أحداً كفّر عدداً من أهل القبلة بمثل ما كفّر الوهابيون. لا يوجد مسلم على الأرض سواهم، وهذا طافح في كل كتب التاريخ السعودي المنشورة. وإذا كان هناك من يجادل في هذه الحقيقة، فلا نظنّه قادراً على الجدال بشأن حقيقة أخرى مرتبطة بها، وهي أن التكفير الوهابي ارتبط بالقتال، فهو تكفيرٌ (رسالي) يتبع الإعتقاد بالفعل. فالكافر يُسلم أو يُقتل أو يخرج من جزيرة العرب! المسلمون في تاريخهم القديم والحديث ابتلوا بمن يكفر الآخر بسبب الضيق بالخلاف، ولكن ليس كلّ من كفّر رفع سيفه بوجه الآخر لقتله، اللهم إلاّ الوهابيون، فأفعالهم وتشنيعهم بقتلاهم والمجازر التي أقاموها لأعدائهم السياسيين والمذهبيين لا تزال تشكل علامة فارقة في التاريخ الحديث للشرق الأوسط والجزيرة العربية.

بمعنى آخر: إن الفاصل بين التطرّف الفكري والعقدي من جهة، وبين استخدام العنف من جهة أخرى، غير موجود في الأدبيات والممارسات الوهابية، أو قلْ هو فاصل جدٌّ محدود من الناحية الزمنية. نقول هذا ونحن في عصر الدولة القطرية، وعلى افتراض أن الوهابيين وصلوا الى الحكم وامتلكوا زمام أمر دولة هي بكل المقاييس نصف قارة غنيّة، الأمر الذي يجعل المراقب يفترض انخفاضاً في حدّة مشاعر التكفير، وزيادة في الفاصلة بين التكفير من جهة واستخدام العنف والقتال من جهة أخرى. لكن هذا لم يحدث على وجه الدقّة، فالوهابيون رغم تسويد فكرهم على كل المملكة رغم أقليتهم، لم يتخلّوا عن منطق التكفير للآخر، ولم يسقطوا سلاح العنف واستخدام أجهزة الدولة في ذلك في سبيل تحقيق رؤيتهم.

الثاني - الإعتماد على فلسفة التكفير والهجرة. فهذه الفلسفة ليست وافدة الى المملكة كما يظن البعض من بعض التنظيمات المصرية، أو اعتماداً على فكر جاهلية المجتمع التي أتى بها سيد قطب وتبنّاها إسلاميون وهم في أسوء حالات القمع داخل السجون المصرية. فالوهابيون ومن منطلق تكفير الآخر، لم يبيحوا البقاء للمسلم (أي الوهابي الموحّد) في ديار الكفر، سواء في الأحساء أو في الحجاز حيث الديار المقدسة، مادام الحكم فيها كافراً، كالحكم العثماني، او حكم الشريف حسين بن علي. كما لم يبيحوا السفر الى ديار الكفر سواء الى مصر أو غيرها، وأصدروا في ذلك فتاوى، وكان سفر الأمير فيصل - الملك فيما بعد - واحداً من اعتراضات الإخوان على (الإمام) عبد العزيز. فما دام المجتمع والسلطة السياسية كافرتين، فإن المطلوب الهجرة، وعلى أساس ذلك قامت فكرة الهجر الإخوانية قبل أن تسيّس من قبل الملك عبد العزيز وتستخدم للضبط الأمني وكعمود فقري للمّ شمل القبائل التي تشكل العمود الفقري للجيش السعودي. الهجرة، أو الهجر تفترض أن الحياة السابقة حياة كفر، سواء كانت حياة بدوية (وهناك فتاوى وهابية تكفّر البدو أيضاً) أو حياة مدنيّة بين الآخرين الذين تمّ تصنيفهم ككفار.

بدون حل أزمة الوهابية كفكر ومعتقد، لا يمكن للدولة والمجتمع أن يخرجا من أزمتهما ولا يمكن للعنف والتطرف أن يتوقفا

إن نزوع الوهابيين تجاه مناطق يمارس فيها (الجهاد) في كل أصقاع العالم، يحمل في طياته هروباً من السلطة الكافرة، والمجتمع الضالّ، كما يحمل آمالاً بتشكيل سلطة إسلامية صحيحة ينضوي تحت لوائها أهل الإيمان من كل مكان، فكان نموذج (الطالبان) ومحاولة خلق نموذج في الشيشان. وقد عدّ عدد من علماء الوهابية حكومة الطالبان الحكومة الإسلامية الوحيدة في العالم التي تطبّق الشريعة، واسترخصوا دماء الآخرين في محاولة لتكرار التجربة الوهابية الأولى، أو الثانية (الإخوان).

إن تفجيرات الرياض في ١٢ مايو الماضي أفرزها نفس الفكر الوهابي الذي لم يتطوّر منذ أن تأسّس، والسبب في عدم قدرته على التطوير، أنه ليس مذهباً فقهياً، بل هو مذهب عقدي، أو ينزع باتجاه التمايز عن الآخر عقدياً، والإعتقاد - كما نعلم - صعب التغيير، والخلاف فيه أو تعزيزه وتضخيمه وتثبيت ما هو مختلف بشأنه متساوقاً مع حالة التنميط، هذا الخلاف يصعب ردمه، ويصعب تجاوزه، ويصعب التسامح فيه والتسامي عليه. وهذا جعل من المذهب الوهابي جامداً، رغم الزعم بأنه يؤمن بالإجتهاد، ولكننا لم نرَ أحداً يحق له الإتجاه إلا أنفسهم، فهم يجتهدون في دماء المواطنين وأعراضهم، ولكنهم لا يقبلون وجهة نظر مخالفة. وبهذا يمكن القول أن المذهب الوهابي هو بحدّ ذاته يعيش أزمة، نقلها الى الدولة المتأزمة نفسها، التي يرى زعماؤها أنهم غير قادرين لا على تطويعه باتجاه التسامح، ولا على استبداله والإستغناء عنه، ولا على وضع شركاء آخرين في عملية تفضي الى توسيع أفق زعماء المذهب، والى اجتهاد حقيقي في التراث الوهابي ضمن إطار المصلحة الوطنية.

نعم مشكلة المملكة المزمنة والرئيسية التي تتصاغر أمامها كل المشاكل هي أزمة المذهب الوهابي، وبدون حلّ لهذه الأزمة فإن المشاكل الأخرى ليس تأتي فقط في الدرجة الثانية فحسب، بل أنها تعوّق حلّها وتؤجّلها الى أمدٍ غير محدود. يجب أن تتوضح العلاقة بين الدين والدولة، بين المذهب والعائلة المالكة، وبين الوهابية والمذاهب الأخرى، ودور المذهب وفكره في صياغة الشخصية السعودية، ووضع محددات لما يمكن للدولة أن تتبناه، وليس أن تأخذ المذهب الوهابي بقضّه وقضيضه، مع ما يحويه من تطرّف وعنف وإتهام وإهمال للمذاهب الأخرى.

الأمراء لديهم صورة مبسّطة حول الأمور، وحلولهم لن تكون فيما يعتقد سوى بدائية، والنتيجة المتوقعة: تطوّر للأزمة السياسية والإجتماعية لن يحدد السلفيون والعائلة المالكة وحدهم نتائجها ورسم مساراتها.

كيف أصبح العنف مشروعاً في السعودية؟

هناك الكثير من الموضوعات الهامّة التي تطرح للنقاش في مواقع سعودية على شبكة الإنترنت، حيث يفصح المتحاورون عن بعض من مكنوناتهم الداخلية وضمن هامش معقول من الحرية، بحيث يمكن رصد هذه الحوارات واعتبارها بشكل عام مؤشراً على اتجاهات الرأي العام السعودي، بأكثر مما تعبر عنه الصحافة والإعلام المحليين.هناك على شبكة الإنترنت، يقوم أفراد ممن يمكن اعتبارهم منتمين الى الطبقة الوسطى العريضة في المملكة بالتعبير عن اتجاهاتهم وميولهم وآرائهم. هؤلاء في مجملهم وكما يبدو من الحوارات العديدة مسكونين بأنواع مختلفة من الهموم الجمعية، لم تجد لها متنفساً في الإعلام المحلي، ولا يمكن طرحها إلا بكثير من الحذر حتى لا يحظر الموقع محلياً، مع أن أكثر المواقع الحوارية السعودية أصبحت محظورة.

ما يهمنا هنا، هو استجلاء للآراء المختلفة بين السعوديين في قضايا وطنية مصيرية بالغة الحساسية. وسنقوم في كل عدد بعرض قضية من القضايا، وآراء المختلفين، الذين لم يجدوا إلاّ مواقع الإنترنت لطرحها على بساط النقاش. الموضوع التالي منقول عن منتدى الوسطية:

http://www.wasatyah.com

ليتني ما رأيت ذلك المشهد.. وما شهت تلك الاشلاء المتفحمة من شباب أنتجتهم هذه الأمة! هؤلاء منا، وإن أنكرنا فعلتهم، وشنعنا عليهم. إنهم منا، نحن أنتجناهم، وطبخناهم بواقعنا المأساوي. إنهم نتاج عصر (الفتنة) الذي تعيشه أمتنا. لقد ذهب شبابنا وقوداً لأفكار ومعارك لم تجر على الأمة إلا الفساد. كم كنت تمنيت من قبل إلا تؤول الاوضاع الى هذا المشهد المحزن. هؤلاء الشباب هم نتاج خطاب (منفعل)، خطاب يصور الواقع بصورة مأساوية، حتى يخيل لذلك الشاب ان الدنيا مظلمة، ويغذى بنزعة الانتقام، والتكفير، والنيل من العلماء والدعاة، حتى يشعر بالغربة عن المجتمع، والانفصال عنه شعوريا، ثم يتوج ذلك كله بمثل هذه التصرفات. أي خطاب وفكر أنتج هؤلاء؟! أي خطاب يحيل ارض الاسلام لتكون مسرحية لعمليات التفجير والاغتيال؟

* * *

الحدث يظهر لنا أننا نعيش في أزمة حقيقية كبرى.. انشقاق وانشطار في الحركة الإسلامية في الداخل.. فوشائج التواصل بين العلماء وبين كثير من الشباب متقطعة متمزقة ؛ بل العلاقة بين علماء الصحوة وكثير من شبابها علاقة تضاد وتنافر. أرى أن العلماء يتحملون جزءا كبيراً من وجود هذه الإشكالية... فالمتأمل لطرح كثير من العلماء يجده مغيباً عن حياة كثير من الشباب.. فأكثر أطروحات المشايخ وعظي ترقيقي لا ينسجم مع فكر الشباب وعصرهم.

* * *

لقد أثمر الجهاد الإفغاني ثمارا مرة وها نحن نقطفها الآن ونتلقى الصفعات من أهل الجهاد أنفسهم. إن أول من هيج هؤلاء الشباب هم بعض المشايخ في هذا البلد وبعد أن أوقعوهم في الفخ، تخلوا عنهم وتركوهم في غيهم يعمهون لا يعلمون أين يذهبون تخبطوا وتاهوا وفي النهايه إذا هم يقتلون المسلمين. ومع ذلك نجد من يناصرهم من بيننا ومن يدعو لهم، وبدأت تخرج الفتاوى لهم من أناس شربوا من نفس كؤوسهم وإذا بنا نجد غالبيتنا في نظرهم كفارا ونستحق القتل. ألأجل هؤلاء ورفضنا لقتل المسلمين نكفر إنها والله معضلة وشلل فكري أصاب ثلة من أبنائنا وثلة من مشايخنا لن ينفع مع الأمراض الخطيره إلا استئصالها من جذورها برمتها وبترابها ومواطنها مهما كلف الأمر.

* * *

لكي لا تختلط الأوراق.. هذا رأي الجماعات الإسلامية السعودية في تفجيرات الرياض.

١- موقف السلفيين (ويقف على قمتهم المفتي وبقية أعضاء الإفتاء وكبار السن من العلماء أمثال الشيخ/الجبرين والشيخ/ الفوزان) وهؤلاء كان موقفهم رافض لهذه الممارسات وأصدروا بالفعل فتوى بتحريم هذه الأعمال.

٢- السرورية (ويقف على قمتهم - العودة والعمر والحوالي) وقد كان موقفهم قريب جداً من الإتجاه السلفي سوى أنهم وفي موقع (الشيخ/ العودة) برروا هذه الجريمة وحاولوا أن يستغلوا هذا الحدث لصالح إتجاههم ودعوتهم، وهذا الإتجاه فقد الكثير من أنصاره وأتباعه بسبب تغير أو (تطور) مواقفهم من الخطاب (التحريضي الجهادي) إلى الإتجاه (العقلاني السلمي).

٣- موقف الجهاديين (ويعتبر الشيخ/ حمود الشعيبي - رحمة الله - المنظر الأول لهم، وكذلك كل من الفهد والعلوان والخضيري) وهذا الإتجاه يعتبر حديث التكوين ولكنه هو الأخطر والأكثر تهوراً، وقد كان موقف أتباعه مؤيداً ويشده لهذه العمليات، بل إن منهم من يراها غير كافية ويطالب بالمزيد، أما منظريهم فلم يصرح بإستنكارها سوى (العلوان) مع صمت مريب من البقية، و(غالبية) أتباعه هم ممن خاض غمار الجهاد في أفغانستان والشيشان.

٤- موقف التنويريين أو العقلانيين (وهذا الإتجاه برز مع ظهور الإتجاه الجهادي)، ولا يتسيد هذا الإتجاه شخص معين ولكن يغلب على أتباعه الثقافة والقراءه الواسعة خاصة في الكتب الفكرية والسياسية، وهذا الإتجاه كان موقفه رافضاً لهذه العمليات، وأضاف كذلك بعض الحلول والنظريات في سبب هذه المشكلة ودوافعها.

* * *

أسجل هنا بعض هذه الأسباب التي أرى أنها الدافع الرئيس وراء الفكر المتطرف:

١- موقف العلماء وابتعادهم عن أصحاب هذا التيار وعن محاورتهم وتقبل ملحوظاتهم.

٢- تعامل السلطة معهم ونظرتها إليهم حيث مرت بهم فترة من الزمن كانوا يذهبون بنصف التذكرة إلى أفغانستان، ثم حين تحولت الأحداث السياسية وانتهت مصلحة أمريكا من هذا الجهاد أصبحوا يواجهون السجون والملاحقة وعيون الشك والريبة.

٣- البطالة التي يمرون بها حيث فصل من

عمله من كان منهم موظفا في إحدى الوظائف الحكومية.. وأصبحوا لايستطيعون الحصول حتى على رخصة لفتح محل تجاري.
٤– حالة الإحباط العامة التي تصيب المسلمين كلهم من هيمنة وطغيان أمريكا وإذلالها للشعوب. كل ذلك بلاشك جعل حرقة في النفوس تزداد اشتعالا.
٥– الفساد العام الذي تعيشه البلد... فساد وفوضى وسرقات في المال العام وانعدام في فرص العمل وانتشار للواسطة والمحسوبية ومضايقة لأصحاب الرأي وملاحقة وتضييق عليهم.
٦– حالة استفزاز وقهر ومهانة من إعلام عربي وإسلامي يوجه إليهم الشتائم صباح مساء ويصفهم بأقذع الأوصاف دون أن يناقش همومهم بصدق وشفافية ودون أن يفتح لهم الأبواب لطرح ما يريدون.

* * *

العلاقة متوترة بين الحكم السعودي والتيار الإسلامي الجهادي ممثلا في العديد من السعوديين الذين شاركوا في حروب أفغانستان والبوسنة والشيشان وغيرها، ولقد برز في هذا التوتر بعض علماء الدين المعارضين للسلطة بسبب هذه التفجيرات المتتالية من جهة، وتصعيد هذا التيار لخلافه مع الحكم السعودي عبر المساجد وشرائط الكاسيت وأخيرا الإنترنت. لا يمكن فصل ما حدث أو تداعياته المرتقبة عن ملف الإصلاحات السعودية الداخلية التي لا تزال دون تطلعات معظم التيارات الإسلامية المعتدلة في السعودية. فليس سرا أن ملف الإصلاح الذي شهد انتعاشا غير مسبوق تمثل في لقاء ولي العهد السعودي الأمير عبد الله مع قيادات إصلاحية سعودية في أبريل الماضي (٢٠٠٣) وإعطاء وعد بالتقدم في هذا الملف، لا يزال يراوح مكانه بسبب قيود تتعلق بوضع الحكم السعودي. وهناك توقعات متضاربة، بأن يشهد هذا الملف تحركا أكثر نحو الأمام عقب تفجيرات الرياض أو العكس، حيث يتوقع البعض أن تزيد السلطة صلاتها بالعناصر الإصلاحية المعتدلة على حساب العناصر الجهادية الأكثر تشددا في مطالبها، فيما يتوقع آخرون مزيدا من التشدد ضد التيارات الإسلامية عموما، يضر بالعملية الإصلاحية. بسبب حجم الضغوط الأمريكية المتزايدة على الحكم السعودي وما سببته التفجيرات من حرج كبير له، فقد نتوقع المزيد من الإجراءات الأمنية المشددة، وهو ما قد يعطل في المحصلة النهائية مسار الإصلاح السياسي والاجتماعي. لكن على الجانب الآخر، هناك وجهة نظر متفائلة ترى العكس، وأن التفجيرات قد تسرع التوجه نحو الإصلاحات، وإلا فالمقابل سيكون زيادة التفجيرات وربما تحولها نحو السلطة ذاتها وليس فقط الوجود الأجنبي.

(عن موقع إسلام أون لاين)

* * *

يجب أن نعالج أسباب ظهور حملة مثل تلك الأفكار الاجرامية، بدل أن يسبقنا الى التحليل والتفنيد بنو علمان (العلمانيون) وغيرهم ممن يقتنصون مثل تلك الفرص جيداً لتحقيق أهدافهم سواء بتغيير المناهج أو غير ذلك. لو نظرنا الى تلك العمليات وفق المنظور السياسي فهي ليست بذات ثمرة، وكما هو معلوم فان أحد أهم أساسيات السياسة (أن تفوق مكاسبك ما تخسره) وهم بالعكس خسروا بل وسيخسروا الكثير الكثير جراء ذلك العبث السياسي. لن نندهش ان كان هناك آثاراً سلبية على المستوى الرسمي، حيث أنه من المؤكد أن الأمريكيين سيضاعفون الضغوطات والمطالب على الحكومة السعودية، فبدل أن كانت الضغوط مقتصرة على المناهج وما تبعها ستطال بالتأكيد أموراً أخرى.

* * *

الشبه التي أثارها البعض حول شرعية ما قام به إخواننا المجاهدون ـ جزاهم الله خيرا وكثر من أمثالهم ـ تتلخص في شبهتين: الأولى: أن القتلى من الأمريكان مستأمنين معاهدين. الثانية: أن من بين القتلى مسلمين أبرياء. لو سلمنا جدلا أن الأمريكان الذين في الجزيرة العربية معاهدين أو ذميين أو مستأمنين فقد إنتقض عهدهم وميثاقهم بقتل أمريكا إخواننا في أفغانستان والعراق وفلسطين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في بني قريظة. أما الشبهة الثانية (وهي أن بين القتلى مسلمين): فالجواب عنها أن من قتل من المسلمين فهم لم يقصدوا بالقتل ابتداء وإنما قتلوا لاختلاطهم بالنصارى الأمريكان في أماكن ترتكب فيها الفواحش والعياذ بالله ، فلم يمكن تميزهم عنهم فيجري عليهم ما ذكره أهل العلم في مسألة التترس. قال الشيخ الإمام حمود الشعيبي ـ رحمه الله ـ عند جوابه عن شبهة من قال أن في القتلى أبرياء لا ذنب لهم: "الحالة الثالثة: أن يكونوا من المسلمين، فهؤلاء لا يجوز قتلهم ما داموا مستقلين، أما إذا اختلطوا بغيرهم ولم يمكن إلا قتلهم مع غيرهم جاز، ويدل عليه مسألة التترس وسبق الكلام عنها".

* * *

أهل الصليب ليسوا مستأمنين، بل هم المُؤَمّنون لآل سلول، فالكلام عن المعاهَدين والمستأمِنين تلبيس شديد، إذ أن أهل الصليب هم الذين يحمون عروش حكام الردة، ويحرسونهم! ثم إنهم أهل غزو لا اهل أمان، إذ أنهم هم المتمكنون، المسيطرون، المتنفذون، القول قولهم، والرأي رأيهم، والأمر أمرهم: فمقاتلاتهم في المطارات رابضة، وقواعدهم على أرض التوحيد جاثمة، وعساكرهم منتشرة. ثم هل هذا الأمان طاعة لله أم معصية؟ أليس قد أمر نبي الملحمة محمد بن عبد الله القرشي بإخراج هؤلاء الأنجاس من جزيرة التوحيد؟ هل يطاع ولي الأمر طاعة مطلقة؟ أم إن من ديننا أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟ أيهما نطيع: سيد الخلق، بأبي هو وأمي؟ أم ولي الخمر عبد أمريكا؟ ثم هب أن أمان أولئك المرتدين نافذ! فمجاهدوا القاعدة طائفة مستقلة، قد تبرأت من تلك العهود، وأعلنت عليهم الحرب، وحذرتهم من البقاء للإفساد في جزيرة التوحيد! وأنها لا تعترف بمواثيق آل سلول! فعهود المرتدين لا تلزمها!

* * *

حول شرعية تفجيرات الرياض فإن هذا العمل شرعي ١٠٠٪.مثل هؤلاء يرى أن الأمريكان في كل مكان محاربون حتى وإن دخلوا في دولة مسالمة. هؤلاء لا يرون من قتلوهم (معاهدين) من وجوه: من طرف المعاهد، ومن طرف من أعطاه العهد.
١– من طرف المعاهد (الأمريكي) حيث أن دولته وحكومته تحارب المسلمين وتدعم اليهود.
٢– من طرف من أعطاه العهد وهو (ولي الأمر). إن ولي أمر المسلمين الحالي ليس وليا شرعيا معتبرا.. وقد ارتكب مكفرات مثل موالاة الكفار وإعانتهم على المسلمين. المفجرون وصلوا لدرجة من التعبئة الشرعية ما يوصلهم إلى ارتكاب العملية الاستشهادية. فهم يرون في قتل الأمريكان مقدم على الانتباه إلى أمن المواطنين. هذه الفئة تبني أفعالها على اجتهاد نصوص من الكتاب والسنة.. فليس حلها بأن تكبت أو تحارب أو تطارد أو تنشر صورهم ويشهر بهم! هذا الأمر سيزيدهم اعتبارا بشرعيتهم كما يعتقدون. بل الحل أن نواجه هذا الفكر بفكر مثله بأن نفتح أبواب الحوار معهم.

* * *

قال أحدهم مستغلاً مآسي وطني: هاتوا لي علمانياً قام بالتفجير أو القتل. بمناسبة أو بغير بمناسبة يُحشر العلمانيون في كل حديث أفك إسلاموي، أو دعاء وقنوت على اليهود والنصارى والكفار، أو تخلف في التنمية، أو اخطاء وقصور في إدارة البلاد، أو بغي وفساد في الوطن. هاتوا لي علمانياً قام بعملية إنتحارية مسبباً الدمار والقتل لأبرياء وممتلكات عامه بإسم الله أو بإسم الوطن أو

بإسم العلمنة. هاتوا لي علمانياً أفتى بجواز ترويع الآمنين أو قال بوجوب كراهية وقتل الإنسان المسالم الذمي. أروني علمانياً قال: الشيوخ أبخص.. والحاكم ظل الله في الأرض. ويجب طاعة الأمير ولو جلد ظهرك وأخذ مالك. انقلوا لي أقوال علمانين تدرّس في مناهج التعليم.. تدعو إلى تغيب العقل.. وتجعل فهم الحياة بيد موتى من الماضي السحيق.. أو قصائد أو منشورات وأقوال.. تعلم الاطفال والشباب إحتكار الرأي وإقصاء الآخر. أسمعوني خطبة في مسجد أو في شريط كاسيت.. لعلماني.. يحرّض على قتل ونفي بعض ابناء الوطن من الطوائف والمذاهب الأخرى غير الوهابية. هل سمعتم عن علماني يدعو إلى تهييج العامة ويرسل الشباب إلى الموت وهو يشرب نخب الزنجبيل على إيقاع فتاوى وهابية، وينتظر قيمة الفتوى من السلطان أو من تبرعات الناس. هل رأيتم علمانياً يحني رأسه ليقبله العشرات من الناس في الأماكن العامة ويستغل الساذجين فيزوجوه بناتهم لينالوا بركته ويقوموا بخدمته في كل شؤون حياته اليومية: من تغيير زيت السيارة إلى التعقيب على طلب منح الاراضي. هل سمعتم أن علمانياً... قال بوجوب قتل الشيعة ولو كانوا أبناء بلده وجيرانه.. أو أفتى أو وقّع بياناً بكفر وردة بعض المثقفين والمفكرين.

* * *

التبرئة الكاملة، وتحميل المسؤولية الكاملة لعنصر واحد من العناصر المؤدية للفكر التكفيري أمر غير رشيد. هي عناصر مختلفة وأرهاصات تاريخية تؤدي الى نشوئه وقد تختلف من بلد الى بلد. احد العناصر دعوة نجحت في فترة معينة في ظروف معينة مثل تطهير الجزيرة مما أسمته من الشركيات التي ظهرت في المجتمعات المسلمة في القرنين ١٣ و١٤ الهجرية، ولكن بالطبع محاولة التمسك بكل جزئيات هذه الدعوة في ظروف مختلفة قد يفضي الى كارثة لا الى نجاح. والدعوة الثانية ظهرت في شبه القارة الهندية في أواسط القرن الميلادي الماضي وذلك لإنشاء وطن خاص بالمسلمين والخلاص من غير المسلمين لأنهم الأكثرية. والثالثة خرجت من السجون المصرية فخرجت فكرة تكفير الحكام وقتالهم. هذه باختصار المصادر الرئيسية الثلاث المتهمة باشاعة فكر التكفير في العصر الحديث. وما حدث في افغانستان هو تزاوج لهذه الاتجاهات، فحملة الفكر الوهابي المتشدد تواجدوا هناك بقوة، وكذلك الجماعات الاسلامية المصرية هروباً من السجون، وكذلك الباكستانيون المتشددون. ومع الاسف وجدت هذه الجرثومة الفكرية بيئة خصبة للنمو والتوالد في العالم الاسلامي في ظل عدم وجود الحريات في التعبير وابداء الآراء والنقاش الصحي المفتوح، ثم الظلم الاجتماعي والوضع الاقتصادي السيء والفقر والبطالة ولا ننسى المنكرات المتفشية والخطاب الديني المنفصل عن الحياة. لذلك فان عملية تفكيك بناء هذا الفكر القاتل لا يمكن ان يتم في ليلة وضحاها وبوصفة سحرية ناجعة، بل ان الامر يحتاج الى عمل طويل وخطة اصلاح عريضة وصعبة لانها سوف يلزمها نزع أشياء كثيرة من أناس كثيرين.

* * *

هؤلاء الذين تلاحقونهم اخوة لنا ومن اهلنا، وانتم من نحى بهم هذا المنحا ومضى بهم الى هذا السبيل فعلام تتجاهلون ذلك؟ ولمصلحة من؟ الوطن لم يمنحهم تذاكر السفر ويسهل لهم سبيل الجهاد ويحرضهم على قتال الكفار؟ والوطن لم يقل ان الكفر سوفييتي وليس أمريكي؟ لماذا تتاجرون بالوطن مقابل حماية واقع مذل مهترئ وسياسات انانية لا تحفظ للوطن عرضا أو ارضا أو كرامة أو شرفا؟ لماذا لا تتحدث صراحة ويصدق بدلا من القفز على الحقائق وكأنما لا يمشي على ارض هذا الوطن إلا بهائم غاية مطالبها ان تجتر اغاني التمجيد للملك؟ عندما أبحث عن عمل ولا اجد، وعندما أبحث عن سرير مشفى ولا اجد، وعندما أبحث عن دواء ولا املك قيمته وعندما أبحث عن ضمان اجتماعي ولا اجد، وعندما أبحث عن سلفة مالية لتسديد فاتورة الماء والكهرباء ولا اجد، وعندما أبحث عن مواصلة نقل ولا أجد، وعندما أبحث عن سبيل للعيش ولا أجد، فما قيمة هذه الحكومة وما قيمة هذا الوطن؟ واذا كنت ارى بعيني طفل الاسرة المالكة أو من يتصل بها بنسب أو حسب أو شارع أو فنجال يبعثر المال ويمشي في الارض مختالا، أفلا أحقد؟ لماذا تطلب الحكومة الرشيدة من مواطنيها الموسورين التبرع لهذا المشفى أو اقامة خزان ماء أو اهداء ماطور كهرباء أو سفلتة طريق؟ أين تذهب اموال النفط؟ لماذا يتكرم صاحب السمو بمكرمة ويأمر بنقل مريض الى المشفى أو استقدام طفل معاق من بلاد الواق واق للتنويم في مشفى عسكري تحت عدسات الكاميرا؟ عن أي وطن تتحدثون؟ ومن تعنون بالمواطنين؟ لا ارى مواطنين بل ارى مجلودين قد انهكتهم الحيلة واذلتهم الحاجة.

* * *

هناك كثير من المواطنين يشجعون على تلك الأعمال ليس اقتناعا بشرعيتها، ولكن كرها للدولة ويؤيدون اي عمل يزعزع امنها، لعلها يوما تلتفت الى مواطنيها. الوطنيه وحب الوطن لا يأتي بالخطب العصماء والكلمات الرنانه بل حب الوطن يأتي بالعدل بين الناس، حب الوطن يأتي باحترام المواطن. كثيرا ما نسمع أو نقرأ التساؤل لماذا ولاء المواطن السعودي ووطنيته لقبيلته أو مدينته فقط، ولا تجد احد يجيب على هذا السؤال. الجواب بكل بساطه انه لا يمكن للوطنيه ان تنمو في بلد التفرقه بين المواطنين. لا يمكن للوطنية ان تنمو في بلد خزائن الدوله مفتوحه لكل امير يغرف منها كما يشاء، بينما المواطن يجمع ويطرح ويقسم طول الشهر لعل اوعسى ان يكفيه مرتبه الى آخر الشهر. لا يمكن للوطنيه ان تنمو في بلد جميع اراضيه ملكا للأمراء، بينما المواطن يستأجر او يستلف أرضا من صديق ليحجز إسما لدى الصندوق العقاري لعل وعسى يوما ان يملك أرضا. لا يمكن للوطنيه ان تنمو في بلد لا يستطيع التاجر ان يمارس تجارته إلا بمشاركه امير لتسهيل اموره.

* * *

حينما سمعت من صديق لي بالرياض انه حدثت انفجارات بالرياض لم استطع ان أخفي فرحي حقيقة من أي عملية انتقامية ضد الصليبيين المتواجدين لدين. لقد كانت التفجيرات السابقة في العليا والخبر احترافية ولم تصب غير الامريكان ولذا لم اخفي فرحي والتشفي بها من الصليبيين وأذنابهم لدينا، ولكن في هذه العمليات صحيح ان الهدف كان صليبياً ولكن ليس من المعقول ان (يتعمد) قتل حارس المجمع المسلم من أجل الوصول الى هؤلاء الصليبيين وقتلهم وترويعهم. هل هو نهج جديد في تنظيم القاعدة أم انه بعد ان انفصلت قياداتها عن خلاياها مؤخرا – بسبب الضربات الامريكية – تكونت جماعات صغيرة غير موجهة. هل هي تباشير خطيرة في تغير منحى العمليات وشكلياتها؟ هل هناك اطراف دخلت على الخط لتزيد من شظايا العمليات ضد المصالح الامريكية لتصيب بعضاً من المسلمين؟ هل القيادات الشرعية والعملية للخلايا سيصيبها ما اصاب الجزائر من التطرف، وهل ستفلت سيطرتهم على الاتباع وتضيع بوصلتهم في غمرة الملاحقات الامنية والثقافية؟ هل هناك أطراف اخرى تغذي نهج "قتل بعض المسلمين" في سبيل الوصول الى الصليبيين؟ وهل سيتوسع هذا النهج مع زيادة الضغوط النفسية والمخابراتية من الدولة ليكون قتل مجموعة من المسلمين في سبيل الوصول الى بعض الصليبيين.

* * *

من فرق بين أفغانستان والجزيرة كذبته (حيث وجدتموهم). حربنا مع أمريكا بدأت يوم أن دخلت الجزيرة.. وتأكدت حين غزت أفغانستان.. ولم يعد التشكيك في ذلك بعد

غزوها للعراق إلا نفاقا. لقد أعلنوا الحرب على الله ورسوله. ولا يخفى ذلك إلا على من طمس الله بصيرته. قال تعالى: واقتلوهم حيث وجدتموهم. في أمريكا.. في أفغانستان.. في الفلبين.. في الجزيرة. لا فرق. ومن أنكر ذلك كذبته (حيث وجدتموهم). ان حربنا على أمريكا اليوم لا يحدها مكان كما أفتى بذلك شيخنا الفاضل الخضير حفظه الله. فلم هذا الصخب والاستنكار والتشويش على عمليات الرياض؟ انها حدثت على أرض اسلامية وقتل فيها أبرياء (هكذا يزعمون). ولكن.. أليست أفغانستان والشيشان أراض اسلامية وقد أفتيتم بجواز التفجيرات فيها وقلتم أنه من الجهاد؟ فما بال هذه ليست كأخواتها؟ ان الكفر عند بعض هؤلاء كفران: روسي وأمريكي. الأول يجب قتاله ومحاربته في أي مكان. والثاني (الأمريكي) فلا يجوز، لأن لساحة البيت الأبيض فريق كبير من المشايخ المحترفين. أما حكاية الأبرياء الذين قتلوا فنسأل الله لهم المغفرة والرحمة (مع أن وجودهم في ذلك المكان جريمة كبرى تقدح في العقيدة).

لا يعني هذا أننا نستبيح دماء هؤلاء.. ولكن لا نريد لهؤلاء أن يكونوا حجرة عثرة في طريق المجاهدين. هل نعطل الجهاد من أجل حفنة من الناس رضوا بالتعايش مع أعداء الله؟ كما لا نريدهم أن يضافوا الى قائمة الشروط التعجيزية التي تشترطونها للجهاد والتي لن تتحقق الى يوم الدين. كم أتمنى لو أستطيع تصور صورة هذا الجهاد(الوهمي) الذي تدعونه.... جهادا بلا دماء ولا أشلاء.

* * *

قلتم أن ما حدث من تفجيرات كان فتنة. ولكننا قرأنا كتاب الله فوجدنا العكس. وجدنا أن الفتنة هي الكفر المنتشر في أوطاننا (والفتنة أشد من القتل) كما أوضح ذلك شيخ الاسلام وليس كما تدعون. وتريدون أن توهموننا. وقلتم إنها فساد. ولكننا قرأنا للقاضي عياض وابن حجر نقلهما لاجماع الأمة أن الجهاد واجب لحفظ الدين ولا ينظر الى أي مفسدة إذ لا مفسدة أعظم من فتنة الكفر وليس كما تزعمون.

* * *

غلاة هذا البلد حولوا ديناً رضيه الله لنا، من دين رحمة إلا دين عذاب وعنف واستعباد للناس من قبل بعضهم البعض... حولوا هذا الدين إلى إيديولوجية تعتمد الإرهاب. نردد دائماً أن الإسلام لا يطبق على الوجه الصحيح إلا في هذا الوطن، وهذا يعني أن بقية مسلمي الدنيا من الضالين. أليس في ذلك ظلم ومكابرة وتزكية نفس بغيضة، وليست من الدين في شيء. يقول وزير الداخلية، الهيئة ضرورة للحول دون انتشار الفساد، بمعنى أن الفساد منتشر خارج هذا البلد، وأنت تعلم وأنا أعلم أن الذين يحجون للمغرب وبانكوك وكل مكان تتوفر فيه الممنوعات، غالبهم من أهل هذا البلد. خلال خمسين سنة مضت، ماذا قدمت سلفيتكم لفلسطين؟... سلفيتكم (لخبطت) وضع الجزائر والسودان وأفغانستان، وهي إن تركت تسير في طريقها (لخبطت) بقية الدول المسلمة! العلمانية والتي من أهم ركائزها أن الدين لله والوطن للجميع، وسيادة القانون في ضل الحرية والديمقراطية وصيانة حقوق الإنسان، هي المستقبل الذي لا مفر منه. فكر ابن تيمية وابن قيم الجوزية والإمام أحمد وابن عبد الوهاب، لم تعد تجدي نفعاً وسط أمة بلغ منها التخلف حد النخاع. أليس الأجدر بكم أن تخففوا من حدة خطابكم الديني، وتجنحوا للتصالح والسلم؟ ابن لادن أو الخضير أو الفهد ومجمل دراويشك، والذين يدعون أنهم الفرقة الناجية هل يستطيعون فعل شيء؟ تخبطات سلفيتك اليوم كانت نتاج لعبة قصد بها صد المد الشيوعي ثم المد الشيعي، وهي اليوم عبء على من أوجدها، أقصى همه القضاء عليها. ندرك أن حكومة هذا البلد، لا تجرؤ في الوقت الحاضر على الجهر بالقول أنكم أس البلاء، كما قالته عن الإخوان، ولكن سيأتي يوم غير بعيد، وقول ما ليس من قوله بد.

* * *

منذ أيام احداث الحرم (مجموعة جهيمان) والمشكلة قائمة لم تحل في يوم من الايام على الصعيد الرسمي. كل الذي كنا نعمله هو سياسة (البانادول) مسكن الالم. نطبق على مجتمعنا ما نمارسه على اجسادنا من تسكين للألام لا نقوى على احتمال العلاج والصبر على الالم لاجتثاث المرض. لا توجد لدينا القناعة بأهمية تنمية المضادات الذاتيه في الجسم. دائما نلجأ للمضادات الحيوية السهلة الشراء المدمرة للمضادات الذاتية.

* * *

القتله المجرمون..هم أناس صادقون مع مبادئهم وافكارهم التي تربوا عليها في كنف السلفيه الوهابيه والتي اخذوها من علماء المؤسسات الدينيه الرسميه الوهابيه في المملكة، وهم في افعالهم واقوالهم اكثر صدقاً مع انفسهم من شيوخ ودعاة السلفيه الوهابيه، فهم الممثلون الشرعيون للوهابيه وليس العلماء الرسميون والذين درسوا القتله التكفير واستحلال دماء عباد الله، ونا لا اتكلم هنا فقط عن الخضير أو الشعيبي والفهد فقط.

* * *

كتب حسن المالكي:

هؤلاء الأخوة (أصحاب التفجير) لا يختلفون عن المؤسسة الدينية الرسمية المذهبية إلا أنهم أكثر نزاهة وصدقاً مع أنفسهم وهم الممثلون الشرعيون للوهابية وليسوا العلماء، فالعلماء إما أن يقروا بأخطاء الدعوة السلفية وتوسعها في التكفير واستحلال الدماء أو يعلنوا تأييد هؤلاء ليس لهم طريق ثالث إلا نفاقاً ومجاملة وتربيط بيض.. لذلك من العبث أن يعلن المسؤولون الدفاع عن الوهابية ويمكنونها في ظلم الآخرين بينما يمنعونها من ظلم الدولة، ومن الغباء السياسي أن يتم الإعلان الرسمي عن أن دعوة الشيخ صافية وأنها على نهج السلف الصالح قبل أيام، وإعلان أحد المسئولين بقوله (نحن سلفيون)! والمسئول يجب أن يكون فوق مستوى المذهبيات وإلا يعلن وقوفه مع مذهب، وذلك المذهب هو الذي يقوم الآن بهذه الأعمال.

لابد من فتح باب الحوار العلني الجريء مع هؤلاء وغيرهم مع الحفاظ على حياتهم ووظائفهم ألا يصيبها مكروه لأجل آرائهم، فإذا قبلنا التحاور مع أمريكا (ومستقبلاً إسرائيل) فمن باب أولى التحاور مع المسلم، وفتح مناظرات علنية بينهم وبين مخالفيهم سواء من علماء السلطة أو سائر المثقفين. هم سيستدلون بأقوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأقوال لعلماء الدعوة فإذا كانت الدولة ستمنع من تخطئة هؤلاء بالحق والبرهان فمعنى هذا أنها تعبث وتريد الكيل بمكيالين، فتأخذ خير الوهابية وتترك شرها على بقية الشعب. إن الهجوم على هؤلاء لن يجدي فيهم إنما تجدي الحجة والبرهان (ثقوا تماماً من هذا). الإصلاح الداخلي من عدل وحرية رأي واستقلال في القرار السياسي وغير ذلك من الإصلاحات هي صمام الأمان ولا يجوز التأخر في هذا. لا بد أن يصاحب الرد عليهم وجوب التأكيد على أهمية (استقلال القرار السياسي) وأن هذا مطلب كل الدول وهو مطلب مشروع.

* * *

هؤلاء مطالبهم في النهاية تعني القضاء على مكتسبات الاسرة الحاكمة والسلطة الدينية الرسمية والمتمصلحة والطفيلية فهل ننتظر من الدولة في النهاية ان تستسلم؟ سؤال سخيف لا قيمة له. اذا هل نتوقع ان تستطيع الدولة القضاء نهائيا على هذا التيار؟ سؤال اسخف لا يمكن تصور شرعية للدولة دونه.. اذا ماذا نتوقع؟ تحاول الدولة ان تجاري الواقع ببناء اصلاحات ملموسة ولكن غير مؤثرة على المكتسبات والمزايا وفي هذا تمديد للوقت وفرصة لمزيد من تكرار الحوادث.

* * *

صناعة التطرّف في السعودية: الأسباب والنتائج

دعوا المجتمع يتحاور

تراكم الأزمات التي تمر بالبلاد كان من أسباب استمرارها عدم وجود حوار حقيقي داخل المجتمع، فكل أزمة نسكت عنها، ونشتري الوقت لتأجيل الحديث فيها وعنها وعن أسبابها ووسائل علاجها. وكانت النظرة الأحادية لطبائع الأمور، وعدم إتاحة الفرصة لنقد الذات بمختلف الرؤى والأفكار ووجهات النظر من أسباب استمرار الأزمات واستفحالها. وعلينا اليوم ونحن نقف في مفترق طرق تاريخي، أن نقرر بكل جلاء إذا كان بإمكاننا أن نحل مشكلاتنا بأنفسنا من خلال حوار وطني شامل، لا تفرض فيه القيود ولا الإطارات المفترضة، أو نواجه مستقبلاً وخيماً قد لا نستطيع تقريره بأنفسنا! إن الجدل العام الذي يسود المجتمع ليس أداة فرقة و لا طريق افتراق، إنما هو دليل تعافينا من أوهام الفكرة الواحدة التي لم تنجح في مواجهة التحديات.

سليمان العقيلي
الوطن ٢٠٠٣/٥/١٩

* * *

أخرجوا «الإرهابيين».. من «جزيرة العرب»..؟!!

هل بقي من صبر، نتقوت به نحن أبناء دول الجزيرة العربية والخليج..؟! لقد طفح الكيل حقاً، وبلغ السيل الزبى، وأصبحنا حكاماً ومحكومين في هذه المنطقة، أمام خطر حقيقي لا مراء فيه، ولدرء هذا الخطر عنا، ودفعه عن حياضنا، واجتثاث جذوره من أرضنا، لابد من التكاتف والتعاون بين الجميع، ليس فقط لنبذ الارهاب وأهله، وإنما وقبل كل شيء، لمعاقبة المجرمين، من القتلة والمخربين، جزاء لهم، وردعاً لأمثالهم. نقول لأبناء الجزيرة العربية والخليج، ولكافة حكامها: اخرجوا الإرهابيين من «بينكم».. اخرجوهم من جزيرة العرب..! اخرجوهم.. لم نعد نصبر على أذاهم، ولا نحتمل هذا السلوك الشيطاني منهم.

حماد بن حامد السالمي
الجزيرة ٢٠٠٣/٥/٢٥

* * *

المجتمع السعودي.. وثقافة العنف

لا استطيع ان أسلّم بمقولة أن ثقافة العنف وافدة. صحيح ان الصياغة المسوغة لفكر العنف كانت وافدة.. إلا ان الأصح انها استوطنت في المجتمع السعودي ووجدت البيئة المناسبة لبقائها ونموها وتكاثرها. لا شك ان لبعض من يعرفون بقيادات الصحوة الاسلامية دورا رئيسيا في ضخ هذا الفكر الدخيل.. ولا شك ايضا ان لبعض علماء أهل السنة دورا بارزا في بقاء ومن ثم شيوع الفكر الخارجي.. القائم على العنف. لا اتردد في القول ان اخطر ما استوطن الثقافة السنية المعاصرة هي ثقافة الخروج على الحاكم والمفتي الذي يعينه الحاكم.. وهي عندي اهم الابواب التي يلج منها اهل العنف. الا ان القليل للأسف وخصوصا الحركيين يدرك مدى خطورة هذا الباب. لعل من الاسباب ان كثيرا ممن يتسنم الدعوة.. اليوم يأخذه همُّ اقامة الدولة الاسلامية النقية بعيدا عن الوعي بالخطورة التي يمثلها.. يزين تسفيه الحاكم والمفتي.. والعلماء الرسميين. بمعنى آخر يجد العمل على التشكيك بشرعية المجتمع.. اعلانا عن شرعيته هو.. ويؤسس لشرعية الخروج في ثقافة المجتمع.

عبدالله بن محمد الرفاعي
الشرق الأوسط، ٢٠٠٣/٥/١٩

* * *

هكذا يكون التجفيف!

الحزم في قضايا الأمن الوطني هام جدا لحماية المجتمع وحماية الحريات في ان واحد، من المهم مراقبة ما يكتب وينشر ويذاع ويدرس ويمرر في الإعلام المحلي ووسائل النشر والوسائط المتعددة كالشريط مثلا وكذا المحاضرات والخطب. من المهم مراقبة المحتوى الموجه للناس وللجماهير، مراقبة المحرضين للفكر الاجتماعي والراغبين في كسب شعبية ما على حساب الوطن والأمن والاستقرار. ليست المراقبة هنا بدواعي تقليص الحرية ومساحة النشر وحق التعبير، ولكن مراقبة التوجهات التي تريد اختطاف المجتمع وفرض رأي واحد لن يقودنا إلا إلى المزيد من النكسات. قضية الأمن الوطني يجب ان تكون الأولوية، أن تكون مرحليا موضوع الحسم مع أي فكرة أو مذهب أو تطرف، ان تكون مرجعية للاختلاف حول الخطاب الوطني، داخل الوطن أو من اجل الوطن أو ضد أي مساومة أو إعاقة للتطوير والتحديث، في ذات الوقت الذي يفترض ان يرحب فيه الوطن بالمزيد من الإصلاحات والتطوير وحرية التعبير والفكر والاعتقاد، واحترام الحريات العامة والخاصة بإثراء وتنوع في الرؤية للناس والأشياء، دون عنف أو تطرف أو إجبار على شكل أو لبس أو نوع.يجب أن تفتح كل القضايا المعلقة، وكل التشوهات المخبأة، وكل القصور الخامل، يجب ان تعاد صياغة الكلمات والحروف، ومراقبة كل الفتاوى التي تتلاعب بالنصوص وبالناس وتوضع على محك الأمن الوطني.

ناصر الصرامي
الرياض ٢٠٠٣/٥/١٩

* * *

جاء وقت المصارحة

كل ما يطلبه المواطن في هذه المرحلة المفصلية من تاريخ المملكة هو ان لايتشاطر علينا البعض ويدينوا ماحدث مع كلمة (لكن) وهي المبرر الشرعي لمن يضع يده مع الارهاب والفكر التكفيري و(اليد) الثانية مع الحكومة والمجتمع. لا نريد في وطننا سوى ان تكون اراء ومواقف الجميع معلنة على رؤوس الاشهاد وان لاتتم مصادرة الرأي الصالح بحجة عدم اثارة الشعور الديني لهؤلاء الارهابيين وكلنا يعلم وأول من يعلم المسئولون في الدولة ان الكتاب والمثقفين هم من تلقوا الضربة الاولى من اصحاب الفكر المنحرف وتم تكفير الكثير منهم وتم التعريض بسلامتهم الشخصية وسلامة عائلاتهم ومع ذلك وقف الجميع متفرجين.

عبد الرؤوف الغزال
اليوم ٢٠٠٣/٥/١٧

* * *

أخرجوه من القمقم ولم يستطيعوا إعادته

وقد جرب العالم حتى الآن مقابلة العنف بعنف مضاد، ولكنه كان ذات يوم يُحارب عنفاً بسيطاً فأصبح اليوم يُحارب عنفاً مركّباً. وكان العنف لا يتعدى الاغتيال بالرصاص أو زرع قنبلة قبل التواري عن الأنظار، ثم تطور الأمر إلى حد (التطييح) بالطائرات وتفجير الأجساد من قبل المُضحّي بنفسه في سبيل هدف آمن به. لسنا أمام بقالة يمكن إغلاقها بأمر البلدية، ولكننا أمام فكر يعتقد أصحابه أن عليهم واجباً يجب أداؤه وقد فهم بعضهم أن تضحياتهم جهاد يقودهم إلى الجنة. وهذه المفاهيم تم تلقيها تحت السمع والبصر ووُظّفت في مرحلة من المراحل لمناسبتها لتلك المرحلة، ولكن الذي أخرج المارد من القمقم نسي طريقة إعادته إليه سلمياً. فحاول قسره على دخول القمقم، ولكن المارد كان له رأي آخر عبّر

عنه فيما بعد أعنف تعبير!

محمد أحمد الحساني
عكاظ ٢٠/٥/٢٠٠٣

* * *

وأد التساؤلات في مهدها: حانت مواجهة الحقيقة

من ينكر أن غالبية الخاطفين هم من السعوديين؟ أو أن بن لادن كان يحمل الجنسية السعودية؟.. لدى الفرد السعودي توضيحه في هذا الشأن ولكن ذلك لا يكفي. هناك من سيطالبه بأكثر من الإنكار. عليك إعداد مرافعة مدروسة بعمق وألا تلجأ للضجيج الخطابي والشعاراتي الذي سيؤول صالحه لخصمك بالتأكيد. وعليك في الوقت ذاته إعداد خطة عمل لتجاوز الأزمة تقدر فيها الخسائر باختيارك قبل أن تبتلعك هي. ليس هناك مفر من تقديم التنازلات. السعودية تحاول إقناع المفكرين والصحفيين الأمريكيين والأجانب عبر دعوتهم والحفاوة بهم إنها لا تستحق كل هذه التهم المطلقة عليها. هذه الزيارات لم تعكس شيئا ولم تأت بالثمرة المرجوة. لقد اكتفى السعوديون بالتذمر من الهجوم الموجه ضدهم. ويظن السعوديون إن بإمكانهم اجتياز أزمة سبتمبر دون أن يطرأ عليهم أي تغيير.

في رسائل متبادلة بيني وبين كلوديا وانكلر رئيسة تحرير "ويكلي ستاندرد" الأمريكية المحافظة حول الوهابية ومسؤولية الفكر السلفي عما حدث. قالت لي: (تخيل لو أن سكان الرياض استيقظوا على مقتل الآلاف من مواطنيهم. أي غضب سيجتاحهم؟ إن بن لادن وتلك الجماعات الجهادية تعتبر نفسها الممثل الشرعي الصادق للمذهب السلفي. كيف يمكن شرح الأمر؟). نعم، لا يمكن فهم الأمر إذا كنا لا نزال نرفض مواجهة الحقيقة. الحقيقة التي تقول: بأن ما حدث ليس فكرا وافدا. وبأن التعاطف الشعبي مع بن لادن ومجاهديه بعد سبتمبر لم يكن قليلا.

المجتمع السعودي قبل عشرين عاما في تدينه، وفهمه للدين ليس هو المجتمع السعودي كما نراه اليوم. فبالإضافة إلى المذهبية الضيقة في القديم فإننا نواجه أدلجة إسلامية عامة استطاعت أن تصل بخطابها المتشدد إلى كثير من مؤسساتنا التربوية والدينية. وجيل الصحوة كما نراه اليوم هو حشد كبير من المتعلمين والشباب المتأثرين يملؤون منابر المساجد ودروسها، كما يملؤون المدارس والجامعات. هذا الحشد الكبير لا يؤمن بالتعددية، ولا بالديموقراطية، والرأي الآخر لديه تضليل أو علمانية.

هناك محاولات مكثفة عبر هذه الأعمال لوأد التساؤلات التي أصبحت تثار بعد الحدث، عن صحة فهمنا للدين، وعن حقيقة الاعتدال. وهناك أسئلة تدور في أذهان العامة من الناس حول مسؤولية الأيدلوجيا الصحوية في تشدد المجتمع، والكراهية التي بلغت أوجها تجاه الآخر. ولذلك فإن هناك أصواتاً تطالب بعدم دفع البعض تجاه المواجهة، وأصواتا أخرى تحذر من النموذج الذي اتبعته بعض الدول المجاورة في معالجة أزمة كهذه. هذه الأصوات في الحقيقة لا تدرك أننا بلغنا ذروة المواجهة. نحن نمر الآن في منعطف خطير و(الصدمة بحاجة إلى صدمة).

عادل الطريفي
الوطن ٢١/٥/٢٠٠٣

* * *

ظاهرة التطرف والعنف والإرهاب: حجمها وأسبابها

عندما نبدأ بتحديد حجم المشكلة نجد انفسنا مضطرين الى التمييز بين اربعة اوجه أو اربع مراحل للمشكلة وهي: ١ ـ ثقافة عدم التسامح، ٢ ـ التطرف، ٣ ـ العنف، ٤ ـ الارهاب. هذه الأوجه هي مراحل متدرجة. فثقافة عدم التسامح تولد التطرف والتطرف يولد العنف، وفي قمة العنف يأتي الارهاب. هذا الربط يعني ان احتمال انتشار التطرف وتبني العنف في ظل ثقافة عدم التسامح هو اكثر بكثير من احتمال انتشاره في ظل هيمنة ثقافة التسامح. ان اسباب مشكلة التطرف والارهاب هي اسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية وفكرية وايديولوجية. اعداد كبيرة من الشباب هم فقراء عاطلون عن العمل يعيشون في فراغ كبير ويتعرضون لخطاب ديني متطرف ولثقافة ترفض التسامح فيجدون انفسهم في حالة تدفعهم دفعا نحو التطرف والعنف. فثقافة عدم التسامح التي يتم اكتسابها في المنزل والمدرسة واجهزة الاعلام والمسجد والشلة تتفاعل مع وجود خطاب ديني مسيس ومتطرف يقدمه بعض الوسطاء في المجتمع ويتبنى رؤية خاصة وتفسيرا خاصا للمشاكل الداخلية والخارجية ويساعد على تنمية التطرف والعنف والارهاب بين الشباب. والوسطاء الذين يقومون بنشر الخطاب الايديولوجي والديني المسيس عديدون ويوجدون في مواقع كثيرة في المجتمع. ومن امثلتهم بعض العلماء وأئمة المساجد، وبعض الاساتذة والاداريين ومسؤولي النشاط الرياضي والاجتماعي والثقافي في المدارس. هؤلاء الوسطاء وغيرهم هم الذين يتولون تفسير السياسات والاوضاع الداخلية والخارجية ويساهمون في تنمية العنف والتطرف. بعضهم منظمون ومسيسون ويعملون ضمن برنامج محدد وبعضهم يقدمون آراءهم المضرة انطلاقا من قناعاتهم واحتسابا للأجر.

عثمان الروّاف
الشرق الأوسط ١٩/٥/٢٠٠٣

* * *

الإصلاح والتعبير ولجم العنف

المؤسسات الدينية الرسمية لم تكن في يوم من الايام طرفاً مشاركاً في العنف، فيما العنف يأخذ بعد القبيلة احياناً أو الجماعة الخارجة احياناً اخرى قد يكون التقصير احيانا في استقصائه، أو منح البعض فرصة لتسويق رسالتهم التي تمرر فيها مضامين تلتقي على نفس الارضية والمرجعية لكنها تختلف في النظر الى النص والواقع، وهو ما أحدث لبساً. العنف ظل دائماً رفيقاً للتمرد وللمعارضة العنيفة دائماً والباحثة عن السلطة أو المشاركة الحاسمة فيها، وفرض اسلوب الحياة والفكر وحتى صيغ العلاقات الاجتماعية والعائلية على الناس؟ هذا التطرف الذي قاد الى العنف هو دخيل مع فكر صحوة التطرف! الأهم تطوير واصلاح وتدعيم هذا الكيان وضخ روح جديدة ولغة جديدة وخطاب جديد. بناء دولة حديثة قدرها ان تبقى حديثة ومتطورة لا بد لها أن تنفض الركود والغبار وتكون أكثر جرأة في افكار الاصلاح والتطوير ذاتها، اكثر جرأة في فتح مساحات التعبير، واتاحة الفرصة للتعددية والتنوع الفكري والمذهبي واطلاق الحريات العامة والخاصة، وتوسيع المشاركة الشعبية.

ناصر الصرامي
الرياض، ٢١/٥/٢٠٠٣

* * *

اجتثاث الرؤوس أولاً!

نحن أمام ولادة جديدة لفكر خوارجي يمارس نفس المنهج في تكفير كل من يخالف نهجهم، وجولة واحدة على بيانات وكتابات منتدياتهم في الانترنت تكشف لك أن اتهام العلماء بالكفر والانحراف بات مقدما عندهم على اتهام كل طبقات المجتمع.. وهنا ينبع الخطر الكبير حيث لا يصبح نافعاً مع هؤلاء حوار يقوم به العلماء ولا جدل يقوم به المفكرون لأن هذا الفكر قد حزم أمره وأصم أذنه عن السماع ولم يعد يبصر إلا جموعاً من الكفار لا يميز فيهم بين المسلم وغير المسلم حتى ولو كان فيهم أجل العلماء وأخْيَر الصالحين وأصْفَى المفكرين! لا أظننا اليوم بحاجة إلى حوار مع هذا الفكر بقدر ما نحن بحاجة إلى اجتثاثه بالقوة. إنه فكر مريض لا علاج له إلا بالاستئصال الجراحي، أما العقول المتأثرة فقط فيجدي معها حوار ولكن ليس قبل اجتثاث الرؤوس الكبيرة!

خالد حمد السليمان
عكاظ ٢٣/٥/٢٠٠٣

* * *

ثقافة ترحيل الأزمات

الإشكالية المزمنة في فكرنا السياسي والاجتماعي تكمن في محاولة قراءة الأحداث خارج سياقها التاريخي عبر مُقولات اجترارية مُعلّبة مُمثلة بالفكر الدخيل أو المستورد.. الخ. وهو الطرح الذي دَرَجنا عليه طويلاً في محاولة إسقاطية تستهدف تبرئة الذات وتجريم الغير. وهو ما ساهم في رسم رؤية ضبابية تحول دائماً دون رؤية أزماتنا في جذورها الحقيقية. لقد شكّل الاستبداد الفكري حجاباً كثيفاً وسياجاً منيعاً على كل العلل والاحتقانات، وهيأ الساحة لنمو خطاب تكفيري تحريضي ما فتئ يُعبئ اتباعه بركام ايديولوجي يهدف إلى (إعادة أسْلَمة) المجتمع عبر اطروحات راديكالية شديدة الغلو والتطرف. ان التنديد بالقتلة ومحاولة تعقّب فلولهم عن طريق الأجهزة الاستخباراية لا يحل

أزمة تجذرت في نفوس البعض منذ سنين طويلة. هنا ينبغي محاكمة (الحالة) التي أفرزت هذا الواقع من خلال تشريح واقعنا الثقافي المتصحر وحرث قاعنا الفكرية الجرداء وفتح الطريق الموصد أمام حوار سلمي عقلاني حضاري يتسع للجميع ويلامس بؤر الاحتقان، وان نعود قليلاً إلى الوراء لمراجعة الذات وتحديد المسؤوليات. في نظري أن الإرهاب الفكري الذي شكل خزان بؤسنا الحضاري كان أكبر خطراً وأفدح ضرراً من هذا الإرهاب المسلح. هناك جملة من الأخطاء التاريخية أفرزتها حالة العجز العام ومنها استشراء ثقافة ترحيل الأزمات إلى أن تتورم وتصل إلى مرحلة الانفجار.. وهي أخطاء لابد من مراجعتها والاعتراف بها كمدخل حقيقي لعلاج هذه الأزمة وغيرها. الحقبة الراهنة تعد واحدة من الفرص التاريخية لمراجعة حساباتنا الاستراتيجية وفقاً لثقافة معيارية يتم ضبط إيقاعها على حوار وطني حضاري في الشأن السياسي والديني لا يخضع للغة التوجس أو الإقصاء.

عيسى الحليان

الوطن ٢٠٠٣/٥/١٩

* * *

السيكوباتية في التفجيرات الإرهابية في الرياض!!

أسباب ماحدث شاخصة امام الأعين في كل عطفة وطريق، في المساجد والجامعات والمدارس ومعسكرات الكشافة والجوالة وفي البيوت. كل مافي الأمر، انه تم تجاهلها وعدم التفكير فيما قد تؤدي إليه من نتائج وأثار، الى ان وقعت الكارثة. ماحدث في الرياض، والخوف ان يكون قمة جبل الجليد، هو نتيجة نشوء وشيوع تيار فكري متزمت متطرف يؤمن أصحابه انهم الوحيدون السائرون على الصراط المستقيم. استطاع هذا التيار الانتشار وفرض وجوده على ارض الواقع لاسباب منها الاعتقاد بأنه سيكون وقاء ودرعا يحمي الشباب في الوطن من الغزو الفكري.

د. مبارك الخالدي

اليوم ٢٠٠٣/٥/١٨

* * *

الشخصية المتطرفة

أولى دلائل التطرف هي التعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الشخص على فهمه جمودا لا يسمح له برؤية واضحة، والعجيب أن المتطرف يجيز لنفسه أن يجتهد في أعوص المسائل وأغمض القضايا، ويفتي فيها بما يلوح له من رأي، وافق فيه أوخالف، ولكنه لا يجيز لعلماء العصر المتخصصين، منفردين أو مجتمعين، أن يجتهدوا في رأي يخالف ما ذهب إليه. تفكير المتطرف تفكير ذري فرعي جزئي تحقيري لعقول الآخرين، والمتطرف يحمل معه سمة التفكير الذري، فهو يدور ويدور عند مسألة جزئية تتحاقر أمام المسائل الكبرى التي تحتاجها الأمة في عصره وزمانه، ويظل المتطرف يلوك ويجتر تلك المسائل الفرعية الجزئية، ويشغل الأمة بها في كل مكان.

عائض بن سعد الدوسري

الجزيرة ٢٠٠٣/٥/٣١

* * *

الانتهازيون وجذور الانغلاق

من تقليل حجم المشكلة إبرازها على أنها ظاهرة عارضة والقول بأنهم واقعون تحت تأثير من الخارج وأن هناك قوى توجههم، أو محاولة تضييق حجم وجودهم بادعاء أنهم مغرر بهم. الأمر ليس هذا ولا ذاك، فهؤلاء الشباب نبتوا محلياً وترعرعوا داخل بنية اجتماعية خاصة سريعة الاستجابة لأي مؤثر انغلاق بسبب وجود خلل اجتماعي فاضح في تواؤم القناعات الاجتماعية وفي مدى مستوى استيعابها للنمو الحضاري الذي لا يمكن التخلف عنه مرحلياً. تاريخياً هؤلاء لم يولدوا فجأة وليسوا أداة التدمير الأولى، ولكنهم المرحلة الرابعة في مسلسل الرفض للحياة المعاصرة وتكفير من يبيحها والإلزام بالجهاد ضد من يريد فرضها.. أي الدولة.. هذه هي الحقيقة. الأجنبي ستار أول.. مرحلة ميدانية ليس إلا. ليس مقنعاً أن نقول عن أفغانستان بأنها الحضن الذي رضعوا فيه التطرف، لأنهم لو لم يكونوا أساساً مهيّأين ذهنياً لما سافروا إلى هناك. ما يحدث ليس إلا جزءاً من مسلسل طويل غايته تقويض الدولة ثم إعادة تشكيل المجتمع.

تركي السديري

الرياض، ٢٠٠٣/٥/١٩

* * *

الإصلاح والعنف

الاصلاحات تعطل ثقافة العنف وتنأى بالاخطار الخارجية، والرؤية المؤطرة بالحس الوطني النابض لا بد وان تحتل حيزا كبيرا في مساحة توجهنا نحو الافق القادم. وكلما انبثقت تلك الرؤية من فهم موضوعي وطبيعي لحاجتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كان ذلك اقرب الى تناغم مفهوم وحدتنا الوطنية. اذا كنا نملك كل هذا الحب للوطن والحرص عليه.. والخوف من أجله، فلا بدّ ان تكون مشاركتنا حقيقية وفاعلة ومجسدة لتلك الانفعالات الصادقة.

أيمن محمد حبيب

عكاظ ٢٠٠٣/٥/١٩

* * *

في مواجهة فكر التطرف والإرهاب

ما حدث في الرياض يضعنا اليوم ظاهرة أعمق من أن تكون سلوكاً فردياً عدوانياً ظهر بين يوم وليلة ولذلك فإن مواجهة هذه الظاهرة تتطلب أكثر من مجرد الإدانة والردع، بل الأمر يتطلب استكمال البحث والمعالجة لتطويق هذه الظاهرة ونزع فتيلها الذي قد يشتعل مجدداً. الإرهاب فكر منحرف وليس مجرد سلوك عدواني فهو ثقافة متكاملة حتى إن كانت مخالفة للمنطق والشريعة. إن جذور الفكر الجهادي المتطرف لا يمكن معالجتها إلا بفكر شمولي عقلاني حكيم يفكك خلاياها ويعالج البؤرة التي نبعت منها. جذور هذا الفكر استطاعت التغلغل إلى البيئة التعليمية عبر أشكال مختلفة من الخطاب التكفيري الذي يرى في التسامح والوسطية تفريطاً وتساهلاً بينما ينظر إلى الغلو والتشدد باعتبارهما التزاماً وتديُناً. (هناك) ضرورة مواجهة جذور الإرهاب عن طريق زرع ثقافة الحوار والتسامح مع الآخر التي يجب أن تبنى عليها العلاقة بين الفرد ومجتمعه بالإضافة إلى الوضوح والشفافية وعدم إقصاء الرأي الآخر وإعادة تأهيل الخطاب الفكري لكي يكون خطاباً قابلاً للتعدد والاختلاف والحوار وزرع التربية الاجتماعية في موازاة التربية الدينية وتطويق ثقافة التكفير والتضليل.

أميرة كشغري

الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٠

* * *

اغتيال العقل منذ جهيمان

لاتصدقوا بان الهدف من العمل الإجرامي الذي قامت به مؤخراً (في العاصمة الرياض) فئة من المخربين المسمومين في عقولهم هو قتل الامريكان أو رفض وجودهم في بلادنا أو مقاومة السلطة أو الجهاد.. انما المقصود به اغتيال عقل الوطن. كان الإعلان الأول لمصادرة واغتيال عقل الأمة قد صدر بتوقيع من أطلق الرصاصة الأولى من الارهابيين فجر احتلال الحرم المكي الشريف ليبدأ بعده مسلسل قاتم في عنوانه قاتم فيما يحويه، قاتم في اداء ممثليه. المفاجأة كانت في ان يتبنى هذا الفكر المعتم جمعٌ كبير من افراد المجتمع تغلغل في بعض مؤسسات الدولة واجهزتها وبالذات في مصانع العقول، في دور العلم والمعاهد والجامعات ليتم صياغة فكر احادي لايقبل الا بما يؤمن به ويعتقده فقط. من هنا بدأت الأزمة ولم تنته بعد. ما احوجنا الى رحلة عودة حقيقية للعقل الذي همشناه.. وللبراءة القتيلة، لثقافة التسامح، للمجتمع الطيب ذي الوجه السمح.. لفضاء المعرفة النقية، لزمن ما قبل احتلال الحرم حتى نبدأ من هناك نقطة انطلاق سباق.

عبد الله الكعيد

الرياض، ٢٠٠٣/٥/١٨

* * *

مجلس الشورى لا بد أن يكون منتخباً

أننا نعاني من تحديين خطيرين، الأول داخلي، ويتمثل في انتقال فكر الإرهاب من مرحلة التبشير إلى العمل، متسترا بواجهات جهادية ودينية بالتوازي مع تسعير مقيت للمسألة الطائفية والمناطقية بما يهدد تفتيت دعائم الوحدة الوطنية. والثاني خارجي، وخلاصته أن هناك جملة من المتغيرات السياسية على الساحة الدولية، أخذت مكانها بعد الاحتلال الأمريكي

للعراق.

أولى المهام التي يجب أن تتحقق وطنيا فيما يتعلق بمجلس الشورى، هي أن ينتقل دوره من مؤسسة استشارية إلى مؤسسة تشريعية، وأن تكون هذه المؤسسة ممثلة بصدق، قولا وفعلا نبض الشارع السعودي وحركته. وذلك لن يتم إلا باعتماد الانتخاب الحر لأعضاء المجلس، حتى إن تم ذلك بشكل تدريجي، وإعادة النظر في هيكلته وبنيانه وطريقة تشكيله.

بمعنى آخر، لا بد من أن يكون للجمهور قول في تشكيل هذا المجلس، وأن يضم نخبة مقتدرة من الكفاءات ممن يتمتعون بالجسارة في الصدق وممن هم موضع ثقة وقبول من الجميع، وينبغي أن يكون المجلس معبرا في تكوينه وطروحاته عن الإرادة الوطنية. وفي هذا الاتجاه، فإن من المهام الرئيسة التي يجب أن يضطلع بها هذا المجلس، بعد الأخذ بعين الاعتبار هذه النقاط المهمة، في المرحلة المقبلة العمل على تعزيز الوحدة الوطنية وترسيخ ثوابتها، والتسليم بأن ذلك لن يتم ما لم يتجذر مفهوم المواطنة، بواجباتها واستحقاقاتها كافة، التي تعني التكافؤ وتحقيق المساواة في الفرص والواجبات أمام الشرع والقانون.

د. يوسف مكي
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢١

* * *

الإصلاحات وتجريم ثقافة التكفير

هؤلاء الذين يشكلون واجهة وسنداً فكريين للإرهابيين لا يقلون عنهم جرماً ولا خطورة، بل هم أخطر من الإرهابيين بدرجة كبيرة، فحقيقتهم أنهم مصانع منتجة للإرهابيين. الواجب على هيئة كبار العلماء وغيرهم، إدانة هذه الأفعال، وتجريم مرتكبيها بأشخاصهم، بعبارة صريحة لا تحتمل التأويل، حيث انتهى وقت المجاملات والعبارات المجملة، ثم بعد ذلك القضاء على ثقافة الكره والعنف المنتشرة بين الشباب. وكذلك فالحكومة مطالبة بتجريم (ثقافة الكره والتكفير) وسن القوانين لمواجهتها. أبلغ رد على الإرهاب والإرهابيين هو المضي قدماً في الانفتاح، ومسيرة الإصلاح السياسية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية في البلد، وإعطاء المزيد من الحريات العامة والفكرية، وترسيخ مفاهيم الحوار والتعايش والوطنية في مجتمعنا، وإن لزم الأمر جعل هذه المفاهيم مادة إلزامية في المدارس والجامعات، وتربية الطلاب عليها.

سعود بن صالح السرحان
الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٥/٢٢

* * *

سجال الأطراف: معاً لمزيد من العنف!

أفرزت الأحداث الأخيرة لتفجيرات الرياض نمطا من السجال الجدلي المعتاد بين أطراف دينية وفكرية ولكنه اتخذ شكلا حادا يصعب على المرء ألا يلتفت إلى فحواه. نقطة الاختلاف المحورية هي: هل هذا العمل الإرهابي دخيل على بلادنا أم أنه محصلة (فكرية محلية) طبيعية؟ كثيرون كشفوا الحجاب عن معضلة الرأي الأحادي والتفكير الفردي. إن ثقافة العنف والكراهية المستشرية في مفاصل مجتمعنا ومؤسساته التعليمية آن لها أن توضع على طاولة التشريح الاجتماعي، كما آن لمروجيها أن تكبل أفواههم وأيديهم وإلا فأهلاً بمزيد من العنف.

إيمان القحطاني
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٣

* * *

حقنة الجهاد والعنف

نحن نحقن وعي الشباب كل يوم بمفاهيم الجهاد ونتوقع منهم ألا يجاهدوا وعندما تقع الانفجارات في الرياض.. فهي قد وقعت منذ زمن بعيد في الثقافة، باعتماد خلطة شديدة الانفجار في الفكر. نحن محاصرون بين أمرين: واقع شديد الانفجار، وثقافة تهيئ لهذا الانفجار دون قدرة على مناقشتها. وبين هذين الحدين تمشي أمورنا من سيئ إلى أسوأ. المشكلة عندنا أن الثقافة تعيد إنتاج نفسها على نحو أشد ضراوة فيصبح الأطفال أشد تشددا من الأجداد.

خالص جلبي
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٣

* * *

مجلس الشورى يستمع ويصادق!

استمع المجلس إلى الوزير ووجد عنده تجاوزات مالية وأداءً إدارياً كارثياً.. وبعدين؟! الناس يبحثون عن بعد ذلك (البَعدين) يبحثون عن المساءلة الملزمة وليس مساءلة الورق وبعد الجلسة تطوى الصحف والأوراق ونرجع كما يقال (حبايب). ما يريده المجتمع هو المساءلة الملزمة التي يترتب عليها إيقاف التلاعبات والاختلاسات ومحاسبة المقصرين وسحب الصلاحيات والتوصية بالإيقاف وكف اليد عن العمل والتدخل الجراحي في التلاعب بأموال الدولة واستنزافها. (البعدين) هو المطلب الشعبي لأبناء المجتمع وهو ما يأملونه من مجلس الشورى لحماية ميزانيات الدولة والأداء الإداري للمسؤولين وأن يكون دور مجلس الشورى دور الرقيب وليس دور المصادق على الميزانيات والتقارير السنوية، والاستماع إلى ردود الوزراء والوكلاء ورؤساء اللجان أو الموافقة على مذكرات التفاهم الدولية فقط.

عبد العزيز الجار الله
الرياض، ٢٠٠٣/٦/٢

* * *

افتحوا الباب أدامكم الله!

الطريق السليم لمواجهة هذا الخطر (الإرهاب) الذي يتهدّدنا جميعاً هو طريق الصراحة والشفافية ومواجهة الحقائق مهما تكن مرّة أو أليمة أو محظورة. لابد أن نُواجه الأمر بصدق وشجاعة، أما المُواربة والمجاملة وعدم المواجهة والتبرير والتبسيط والتسطيح.. وهي جميعاً صفات مُورست في الماضي تجاه حوادث عنف وإرهاب فانتهت بنا إلى هذه الكارثة الإرهابية. الآن لم تعد الظروف المحلية والدولية تسمح بالإغضاء. هذا الإغضاء أو عدم الاكتراث وعدم تشجيع الرأي الآخر هو الذي هيأ بيئة صالحة لفكر التكفير. كانت كل المؤشرات تنذر بالخطر القادم وهي تمر أمام أعيننا على شكل أشرطة ونشرات وكتب وتجمعات، ولم نحس بالخطر. أما وقد اتضحت الرؤية الآن، فمن المفيد أن تفتح كل النوافذ وكل الوسائل للرأي الآخر لمناقشة كل المواضيع. وفتح أبواب الحوار هو العلاج الناجع وهو المنهج الوقائي السليم، افتحوه أدامكم الله فإنه جرعة للتحصين من كل الاتجاهات المنحرفة.

عبدالله أبوالسمح
عكاظ ٢٠٠٣/٥/٢٤

* * *

الثقافة المسؤولة

لماذا لا نعترف بأن ثقافتنا وحدها هي المسؤولة عن كل هذه الإفرازات ولماذا لا نعترف أيضاً بأننا نقتل في أجيالنا ثقافة الحوار وتعدد الآراء ولماذا لا نعترف في نهاية الأمر بأننا نتاج ثقافة لا تحترم القانون، لا تسمع صوت الإمام العاقل ولا تعترف بالغير ولا تتسامح حتى مع ذاتها. ثقافة تمتلئ بالاستفراد وبالرأي الواحد فلماذا نزج بالدين العظيم قسراً للتبرير وهو بريء من هذه الهرطقة.

علي سعد الموسى
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٥

* * *

هامش الذات الحزبية

معضلة كبرى كحادث الاثنين الدامي يتعامل معها بخفة وبالحد الأدنى مما يلبي وضعية الضغط ويكفل عدم خسارة الحضور الاجتماعي المجيش ضد وطن رهن عبث الأفكار الراديكالية. هذه الغمغمة تتخذ أشكالاً عدة فمن إلقاء اللوم على شماعة أمريكا، وصولاً إلى استعداء الخطاب الرسمي ضد كل محاولات النقد والمراجعة للخطاب الإسلامي بطيوفه على اعتبار أن كل من ينتقدهم فهو يساهم في إخراج "الفتية الذين آمنوا بربهم" عن طورهم ويحفزهم على القتل والتدمير والعبث ليصبحوا ضحايا بسبب الاستفزاز! فإذن نحن بإزاء "ترحيل" للمشكلة يمارس عن وعي لأن أي تحليل وتفكيك للخطاب المتطرف فهو يعني مراجعة شاملة لكل جذوره ومنابعه وتمظهراته يستلزم استدعاء لكل المفاهيم والرؤى والأفكار والمواقف المتراكمة عبر عمر هذا التيار ووضعها على مشرحة النقد وهو الأمر الكفيل بسحب الشرعية والكثير من المكتسبات.

الشعور بسوداوية الغرب وقتامة الحكومات الوطنية وجهالة المجتمعات ونهاية العالم استجر كل ما في النصوص الشرعية والتراث الفقهي والتاريخ الإسلامي من شواهد أو قرائن لإحداث قطيعة مع الواقع بشكل انتقائي وربما انتهازي

حيث ساهمت هذه الأدبيات التي طبخت على نار التجييش والتعبئة الجماهيرية في إعطائه المشروعية للصدام مع السلطة والتحول إلى الممثل الأبرز للمعارضة إضافة إلى الاصطدام وبشراسة مع كل التيارات الفكرية الأخرى التي تخالفهم الأفكار والنهج والرؤى مما سبب خلق أجواء نفسية مشحونة بمشاعر الاغتراب والابتلاء والخلاص وفساد الزمان والانكفاء على الذات والبحث عن مخلص عبر متاهات المنامات أو غياهب أخبار الملاحم والنبوءات.. هذه الملامح والصفات هي ما يمكن تسميته بـ"الشخصية الصحوية" التي تحتاج إلى مراجعات نقدية تطال جوهرها وأسسها.

يوسف عبدالله الديني
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٥

* * *

التناقض..!

يجزم بعضهم ويكاد يُقسم.. على أن «المقررات» المدرسية هي المشكلة.. وأن تغييرها هو الحل..! ويرى غيرهم أنه الفكر الموروث وليس غيره. ويتساوق آخرون بشكل ضدي فيحملون التوجهات الحداثية والعلمانية والعولمية، اشكالات «التشظي» و«التبعية»! كان حقنا كما حقهم أن ندعو إلى ندوات مفتوحة «مباحة» مُتاحة.. يحاور فيها الكل أفكار الكل. وربما انضم اليهم من اقتنع بالخلل قادماً من المؤسسات الدينية اوالمدنية، ومن رأى الخلاص بالانفتاح، واعطاء الحقوق للأقليات، والتسامح أمام الفكر المختلف، والآخر المخالف! شتات لا يلتئم.. وفيها نقاط بداية لمن أدرك أن المجتمع قد نما.. ولم يعد قابلاً للوصاية تحت مظلة.. «قل ولا تقل».. و«افعل ولا تناقش».. واستمتع بالنوم ودعنا نفكر ونقرر بالنيابة عنك!

* مرّ بنا «زمن» تهنا فيه بين «الحداثيين» و«التقليديين»، وتوالت التُهم «المرسومة» و«الجزافية»، ونال الناس منها الأذى.. وأتى «الزمن» الذي تشظت فيه الأمة بين «السلفيين» و«السروريين» و«القطبيين» و«الاخوان» و«التكفيريين» و«الجاميين» و«القبوريين» و«الصوفية».. وعشرات الفرق الأخرى.. والانتصار بفئة ضد فئة، وتقديم فئة على فئة.. سيعيدُنا الى «المربع الأول» الذي جنينا منه «فرقة» و«تأزماً» و«مشكلات»..!

إبراهيم التركي
الجزيرة ٢٠٠٣/٦/٤

* * *

تطرف ليبرالي مقابل المتزمتين

ما يحدث اليوم ليس إلا تغييبا لصوت العقل الراشد يعتسف فيها البعض فرصة سانحة لزيادة الفرقة والاختلاف بين أصحاب السفينة الواحدة. هذا لا يمكن أن يؤسس لحوار اجتماعي متسامح علاوة على أنه يذهب بالتهم إلى مكانها غير الصحيح ويشيع لغة التعميم وجر الأغلبية الساحقة بخطأ الأقلية لمجرد تشابه في السنحة والملامح. أقدر أن مثل هذا الاندفاع قد يحدث كردة فعل لمشانق فكر الغلو على أصحاب الرأي المختلف وتوزيعهم للتهم أيضا فيما مضى وإلى اليوم. الآراء الشاذة ستبقى على الدوام أقلية. المشكلة أن هذه الأقلية من دعاة التحرر المفرط أو الغلو والتزمت الفارط يبقى صوتها قويا لأن الجمهور في أي مكان يميل إلى سماع الخطاب النشاز.

علي سعد الموسى
الوطن ٢٠٠٣/٥/١٩

* * *

حتى لا نُقتَل كل يوم

الذين يريدون أن يقفزوا من الجريمة إما إلى ما ورائها من نتائج أو إلى ما سبقها من أسباب دون أي سند من منطق أو أساس من عقل إنما هم انتقائيون يبحثون عن فرصة مواتية لإخراج ما في نفوسهم مستغلين بذلك ظرفاً قاسياً غير عادي ليعبروا من خلاله عن رأيهم المنتقى أو ليعبروا إلى ما يريدون أن يحصلوا عليه أو يصلوا إليه، وهم بذلك أشبه بذلك الذي تضطره عملية جراحية إلى تناول المخدر فيخرج عقله الباطن مكنونه من أخبار ورغبات ونداءات كان يختزنها سنيّ عمره كلها.

سعيد عطية الغامدي
الوطن ٢٠٠٣/٥/١٩

* * *

لم يعد هناك وقت: لنبدأ الإصلاح

الإصلاح استجابة لحاجات داخلية وتفاعل مع واقع لا بد أن ينهض وينمو ويتطور. الخطوط العريضة لمسيرة الإصلاح التي نحتاج إلى البدء في بعضها ونحتاج إلى المواصلة الفاعلة في بعضها الأخرى تمثلت في التطوير السياسي والإداري، وتوسيع المشاركة الشعبية، وحقوق الإنسان، والإصلاح الاقتصادي ومحاربة الفساد المالي والإداري، وإصلاح الخلل في التعليم، ومحاربة الفقر والبطالة، وإصلاح أوضاع الثقافة والإعلام، وفتح آفاق أوسع لعمل المرأة، وتكريس الوحدة الوطنية. هذه أبرز عناوين الإصلاح التي تناولها خطاب (الملك)، ويبقى على الجهات المعنية في الدولة وضع الآليات الكفيلة بالتطبيق الدقيق. وسأكرر هنا هذه الجملة الرائعة (تجنبوا البطء القاتل).

قينان الغامدي
الوطن ٢٠٠٣/٥/١٩

* * *

أزمة ولا كل الأزمات

الحالة التي نعيش فيها تتسم بالتوتر الشديد، وتكاد حالة الاستنفار الأمني تصل إلى أعلى الدرجات، ناهيك عن الاستنفار الاجتماعي، والتي جعلت من كل بيت محاطاً بالخوف والقلق والاسئلة التي لا تنتهي، حول: لماذا يحصل لنا ما يحصل؟ لماذا التخوف شديد هذه المرة؟ الإجابة معروفة للجميع، فهذه الأزمة تختلف عن أي ازمة سابقة. صحيح ان هناك عوامل مشتركة، وصحيح ان ابطال الأزمة الحالية، يشبهون ابطال بعض الأزمات السابقة، لكن العوامل الخارجية تختلف. نحن اليوم لسنا مهددين داخليا فقط. نحن مهددون خارجيا.

سعد الدوسري
الرياض، ٢٠٠٣/٥/٢٤

* * *

صناعة الموت

يأتي التفجير مخاض مكونات: ثقافة الموت! ذلك أن مقدمات القطيعة مع الحياة الدنيا بالضرورة ستفرز فقها مأزوما ما من شيء إلا هو فيه! باستثناء عقل راشد! يحسن قراءة النصوص، يفجر فيها حالة نفسية قلقة تتشوف الموت! احتفالا باختصار خارطة طريق تنتهي به إلى الجنة بحسبان النصوص حمالة أوجه. لم تكن التفجيرات هذه والتي قبلها لتقع لولا أن ثقافة/ فكراً/ فقها سبقها ـ لربما بحقب ـ ليس في سبيل التسويغ لذات الفعل المشين وحسب! وإنما جاء بصورة التشريع المتماهي مع الترغيب انتظم مدرسة كاملة يسوسها أساتذة يبشرون بصناعة الموت! فهل أن أحداً يستغرب على تلامذة هذه المدرسة، لما أن يتخرجوا عقب مضي ما ينوف على العشرين عاماً! من أن يمارسوا تجاوز امتحاناتهم ليتمحض الولاء موتا فاجعا في مربعات البراء! وفق قراءات مغلوطة لنصوص في شأن التوحيد ونواقض الإيمان!

خالد سيف
الوطن، ٢٠٠٣/٥/١٩

* * *

شراكة المسؤولية

نحن فعلا اليوم امام تحد لا يقل عن تحدي تأسيس هذا الكيان قبل قرن ونيف من الزمان يتطلب وعيا مسؤولا في ولادة حوار وطني بحجم ما نواجهه اليوم من مأزق وبحجم تطلعاتنا لمستقبل واعد. مواجهتنا اليوم يجب ان تكون شراكة في المسؤولية مع الدولة لانه وطننا جميعا ان نحن اردنا لابنائنا مجتمعا محررا من الشرور والتجزؤ.

عبد الله الطويرقي
اليوم ٢٠٠٣/٥/١٨

* * *

الإصلاحات مفتاح الحل

إن إشراك المواطن في أدوات السلطة وإدماجه في مؤسسات الحكم، يجعله يقدم بروح المسؤولية الاجتماعية على مواجهة التحديات الصعبة التي تواجه البلاد. أو على الأقل يتقبل ويصبر مقتنعاً على آثارها القاسية. المهم أن تتم المباشرة الفعلية في تحقيق ما أعلن عنه الملك (في خطابه للشورى) وصونه من البيروقراطية الحكومية، كيما تشعر قطاعات المجتمع بجدية هذا التوجه،

وتلمسه حقيقة واقعة على الأرض، وتنهض بشكل حاسم لتقاسم المسؤولية مع الدولة. إن إشراك المواطنين في صياغة مستقبل بلادهم من خلال ممثليهم في المجالس الدستورية، يحملهم بشكل رئيس تبعات التطورات الداخلية في البلاد على مختلف الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، و ينزع عن كاهل الحكومة مسؤولية تراكم الأزمات، التي ما فتئت الاتهامات توجه لها وتشكك في عدم قدرتها على معالجتها بشكل حاسم.

سليمان العقيلي
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٠

* * *

أحداث الرياض بين التعقل والاندفاع

الأحداث التي جرت في الرياض قبل بضعة أيام أحدثت هزة عنيفة في نفوس الناس. شريحة من المجتمع تعاملت مع هذا الحدث على أنه حدث إجرامي وطالبت بإيقاع عقاب شديد على مرتكبيه ومن يقف وراءهم ومضت هذه الشريحة في هذا المضمار إلى حد بعيد بحيث رأت أن المهادنة أو المصالحة وأي شيء في حكمهما لا يمكن أن تنفع مع أولئك الناس وأن زمن التهادن قد ولى إلى غير رجعة وحلّ مكانه زمن العصا الغليظة وما في حكمها... شريحة قليلة رأت فيه عملاً إجرامياً يستحق العقاب لكنها كانت ترى أن هناك عملاً آخر يجب أن يعمل وبسرعة وهو العمل الإصلاحي وفي جميع الاتجاهات بغية القضاء على هذه الظاهرة أو الحد منها على أقل تقدير... نظرة فاحصة إلى الحدث تجعلنا ندرك أن الحكم المتسرع لن يوصلنا إلى نتيجة بل إنه قد يزيد الأمر سوءاً.

محمد علي الهرفي
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٠

* * *

الإنسان والوطن أهم من ابن تيمية

لنقلها بصراحة مشكلتنا اليوم مع ابن تيمية نفسه. لقد صنع بعض فقهائنا من ابن تيمية الحنبلي الحراني سقفا لا يجوز تجاوزه بحال، جعلوا له في زمننا هذا، في بلدنا هذا مكانة لم يعرفها في بلده في زمانه، حتى إن بعضهم يساوي دون أن يشعر بين نصوص ابن تيمية ونصوص الشرع. يقولون لك إن ابن تيمية غير معصوم.. لكن أكثرهم لا يقبل منك تخطئته. ابن تيمية رائع وبراق ومذهل، ومما يزيد الناس استلابا له هو ذلك النفس التقريري الحاسم الواثق من نفسه المسفه لمن خالفه، فهو إقصائي أحادي لا مكان للرأي الآخر عنده. هو يختلف عن الفقهاء الذين ينقلون الأقوال المختلفة دون ترجيح، أو مع ترجيح فيه تردد ونسبية. لذلك لم نجد لأحد مثل ماله من الحضور في فكر المنظرين الإسلاميين اليوم. أعتقد أنه يجب علينا كمثقفين يعلمون علم اليقين أين تكمن المشكلة أن نظهر وجوهنا ونرفع أصواتنا جميعا بالقول: الإنسان (مسلم أو غير مسلم) أهم عندنا من نقد فقيه أو حتى سقوطه و الوطن الذي نضع أيدينا على قلوبنا خوفا عليه من حال جزائرية أخرى أهم وأغلى مليون مرة من ابن تيميّة.

خالد الغانمي
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٢

* * *

حل سياسي وتعليمي للإرهاب

الحلول (للإرهاب): ١ ـ الإصلاح الاقتصادي والسياسي الداخلي الذي يسمح للمواطن بالمشاركة السياسية الفعالة في اتخاذ القرارات التي تؤثر على حياته ومعيشته وانتمائه إلى الوطن. واقتصاديا لا بد من الشفافية المالية التي تمنع الصرف غير المعتمد في الميزانية وهدر المال العام بسبب أجهزة حكومية لا تحسن الإنفاق من المال العام أو الفساد داخل وخارج الدولة. ٢ ـ الإصلاح الحقيقي للنظام التعليمي في المملكة ليعكس أفكارا اجتماعية ودينية وتاريخية وسياسية غير أحادية.

أحمد المحمد الخريجي
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٣

* * *

الفكر الوهابي ليس بريئاً

ما نزال نصر على ترديد القول إن فكر الإرهاب والتدمير فكر دخيل، وغريب على مجتمعنا وعلى الثقافة الدينية السائدة في ساحتنا. ويصر أكثر أصحاب الفضيلة المشايخ على تبرئة مجتمعنا السعودي، وتبرئة الفكر الوهابي، من هذه الانحرافات الخطيرة. وإن هذه التبرئة وهذا الدفاع ليس إلا من قبيل حيل التبرير الدفاعية الواهمة الموهمة. يجب أن نعترف اليوم بكل صراحة، وأن نعلن اليوم بملء أفواهنا: نعم، فكرنا الديني السائد، وما نسمعه فوق المنابر معلنًا بأعلى صوت، وفي المواعظ والحلق وعبر الإنترنت، صريح أشدّ الصراحة في نفي الآخر المختلف عنا، صريح في الدعوة إلى محوه وإزالته عن الوجود. نحن ندعو على الآخر في صلواتنا وفي دعاء القنوت بالهلاك والموت والزلازل والحرائق والطاعون والأمراض المهلكة وقطع النسل، ولا نخص ذلك بمن اعتدى علينا أو بمن نحن معه في حرب أو مواجهة، بل هو لعموم المختلف الذي نسميه (الكافر) مطلقًا. ونحن أيضًا لا تتسع صدورنا للمختلف عنا رأيًا أو عقيدة أو اجتهادًا أو طريقةَ عبادةٍ من المسلمين، فتعامل الطوائف الأخرى على أنها أشد خطرًا من الكفار. بل لا يتسامح المختلف مع المختلف عنه في داخل المذهب الواحد، فيصنف الناس بعضهم داخل المذهب إلى منافق، وفاسق، وعلماني، وليبرالي، وعقلاني، وملتزم، وغير ملتزم، وطالب علم رباني، وعلماء سلطة...إلخ، ولا يتقبل الواحد منا الآخر كائنًا من كان. أما آن لنا أن نعترف بشجاعة أن لدينا وبين أظهرنا البيئة الخصبة لتفريخ الإرهاب؟ أما آن لنا أن نقلع عن تجاهل النظر إلى مشكلاتنا الحقيقية، وعن دفن رؤوسنا في الرمال؟.

محمد ربيع الغامدي
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٤

* * *

ثقافة الفتنة

تكررت حالات التفجير والتدمير خلال السنوات الأخيرة في بلادنا، بل يمكن التأريخ لها من حادثة الحرم حتى الآن، وكان العلاج في الغالب أمنيا، وظلت الثقافة التي تنتج هذه الدمار من قبيل المسكوت عنه، أو اللامفكر فيه، أو المهمش، أو المقصي أو المكبوت، ولم تخرج دراسة محلية تتناول هذه الظاهرة، ولم تناقش في وسائل إعلامنا المحلية على نحو عميق ومركز. من ارتكبوا الأحداث الأخيرة نتاج فكر إسلامي شئنا أم أبينا، وخطاب ديني بعضه ظاهر في كتب وكتيبات، وبعضه مستتر وراء الستار، ينتظر أي فرصة سانحة لينقض على خصومه في الداخل والخارج. يتكئ على مادة من النصوص الشرعية، وفهوم فقهية قديمة ومعاصرة وموجودة في الساحة، وبعضها يدعي أنها على منهج السلف، على نحو السلفية القتالية.. والجهادية.. والتكفيرية. لعلنا لا نغالي إذا قلنا إن التفجيرات الأخيرة لا تفتقد المشروعية الدينية، ما إذا تم توظيف النصوص الشرعية وأقوال أهل العلم، وإسقاطها على واقعنا المعقد والمركب، فالأمة تمر بمرحلة الهزيمة، والأنظمة السياسية في مرحلة فقدان البوصلة.. وعمليات الإصلاح الإداري والسياسي بطيئة، وهذه فرصة سانحة لكل طامح في التغيير والتبديل، وشقلبة الأوضاع في المنطقة، من خلال توظيف المخزون الديني والنفسي عند الشباب، واللعب عليه، وصياغته صياغة حدية.

غازي المغلوث
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٤

* * *

فتاوى بالكيلو!

أصبح كل من هب ودب في هذه البلد مُفتياً! خريج الشريعة يُفتي، وخريج الهندسة يُفتي، وحامل الثانوية يفتي، وسائق التاكسي يفتي، ومضيف الطائرة يفتي، وبائع العود يفتي.. والحلاّق يفتي! بل إنني أعرف زميلا خريج (تربية فنية) أصبح مفتياً لا يشق له غُبار؛ يُكفِّر هذا ويدخله الدرك الأسفل من النار، ويُزكِّي هذا ويدخله الفردوس الأعلى! المصيبة أن القضية ليست فتيا في العبادات والطهارة حتى نغض الطرف عنها؛ الأمر أدهى وأمَرّ.. القضية: حلال وحرام! يحدث ذلك؛ على الرغم من وجود عالم فاضل في البلد يحمل اسم (المفتي العام)! يحدث ذلك على الرغم من وجود هيئة كبار علماء رسمية تتولى الإفتاء في البلد!

صالح الشيحي
الوطن ٢٠٠٣/٥/٢٤

* * *

مؤسس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة

الشيخ رحمة الله بن خليل العثماني (١٢٢٦-١٣٠٨هـ)

ولد الشيخ رحمة الله عام ١٢٢٦هـ، ويتصل نسبه بسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وترجع أسباب هجرة جدّه الأعلى الى الهند (الشيخ عبد الرحمن) أنه كان قاضياً في جيش السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند، والمتوفى عام ٤٢١هـ، فظلّ الشيخ عبد الرحمن بالهند الى أن توفي ببلدة (باني بت). ولما ولي الحكم السلطان جلال الدين أصيب بدمل عجز الأطباء عن علاجه ثم علم بوجود طبيب ماهر في بلدة (باني بت) وهو الحكيم عبد الكريم من سلالة القاضي (عبد الرحمن المذكور) فطلب حضوره، فلما وصل عالج السلطان الى أن تمّ شفاؤه، فأنعم عليه بلقب (شيخ الزمان) ومنحه مقاطعة (كيرانة) وتوابعها، وحصر حكمها في ذريته وذلك عام ٩١٥هـ، فكان منهم الحاكم والقاضي والعالم والطبيب ونبغ من هذه الأسرة الكريمة الشيخ رحمة الله الذي تلقى العلوم العقلية والنقلية عن أشهر علماء الهند في عصره وهم: الشيخ محمد حياة الله - عالم دلهي، والشيخ مفتي سعد الله، والشيخ أحمد علي من علماء دلهي، والشيخ عبد الرحمن البنجابي، وتعلم اللغة الفارلسية عن الشيخ إمام بخش الصهباني، كما تلقى الطب عن فيض محمد.

بعدها شرع في نشر العلم ومقاومة المبشرين، ومن أشهر تلاميذه في الهند: مولانا عبد السميع الرامفولي، مولانا عبد الوهاب مؤسس مدرسة الباقيات الصالحات بمدراس، وهي أكبر جامعة إسلامية الآن.

مناظرته لفندر: وفي عام ١٢٧٠هـ، عقد الشيخ رحمة الله اجتماعاً حضره كبار علماء الهند والمسيحيون لمناظرة أكبر قسيس، ويدعى (فندر) رئيس البعثة التبشيرية بالهند، فمازال يناظره بالبراهين العقلية والحجج النقلية حتى أفحمه وهزمه شر هزيمة، فسرّ المسلمون لنصره، وغضب الإنجليز على فندر فأقالوه من رئاسته، فلجأ الى استانبول وطلب من السلطان عبد العزيز التوسط لدى الإنجليز بالعفو عنه.

وصادف أن الإنجليز بعد ثلاثة أعوام من هذه المناظرة زحفوا على الهند عام ١٢٨٣هـ الموافق عام ١٨٥٧م، فأبادوا حكومتها الإسلامية، وشردوا رجال الدين، فثار الشيخ رحمة الله ضد هذا العدوان الغاشم وأعلن الجهاد في سبيل الله، ولكن قوة الإنجليز وأسلحتهم هزمته، فصادرت الحكومة الإنجليزية أمواله وعقاره وخصصت ألف روبية جائزة لمن يأتيها برأسه.

فتنكّر الشيخ رحمة الله بإسم (مصلح الدين) ومازال ينتقل من بلد الى آخر حتى وصل الى بمباي، فأبحر منها في مركب شراعي الى مخا إحدى موانئ اليمن، ثم واصل سفره براً الى الحجاز الى أن وصل الى مكة المكرمة عام ١٢٧٤هـ.

وكان السلطان عبد العزيز قد كتب لأمير مكة الشريف عبد الله باشا يطلب منه الإستفسار من الحجاج الهنود عن حقيقة مناظرة الشيخ رحمة الله للقسيس فندر وعن الحوادث التي جرت على أثرها بالهند، فكتب الشيخ عبد الله للسلطان عن ذلك وعن التجاء الشيخ رحمة الله بمكة، فطلب السلطان حضوره الى استانبول لمناظرة القسيس فندر مرة أخرى، فسافر الشيخ رحمة الله الى استانبول ونزل بالقصر الهمايوني، وما أن علم فندر بوصوله حتى هرب خوفاً من مناظرته وإفحامه، فلما علم السلطان عبد العزيز بذلك، أعاد الشيخ رحمة الله الى مكة بعد أن أكرمه ثم بنى الشيخ له ولأسرته دارين بالخندريسة.

وفي عام ١٢٩٩هـ حدث بين الشيخ رحمة الله وبين الوالي عثمان باشا خلاف، فشكاه الوالي الى السلطان، فطلب حضوره الى استانبول، فلما وصلها أنعم عليه السلطان بالخلعة السلطانية ووسام المجيدي ورتبة فايا الحرمين (ركن الحرمين) باقتراح شيخ الإسلام آنئذ، وكانت تلك الرتبة لا تمنح إلا لرجال العلم والمجاهدين، ثم عاد الى مكة. وفي عام ١٣٠٤هـ بلغ السلطان عبد الحميد مواقف الشيخ رحمة الله وجهاده لنشر الدين والدفاع عن حوزته، فطلب من شريف مكة ابتعاثه الى استانبول، فلما وصل أنزله بالقصر الهمايوني وأكرمه وطلب منه ترجمة مناظرته (إظهار الحق) فحقق رغبة السلطان وتم طبعها وترجمت الى عدة لغات، وكانت سلاحاً في يد علماء الدين لنصرة الإسلام، ثم طلب منه السلطان الإقامة باستانبول فاعتذر. وإرضاءً لرغبة السلطان أبقى ابن أخيه الشيخ بدر الإسلام، فعيّن مديراً لكتب خانة باستانبول، ورجع الشيخ رحمة الله الى مكة مودعاً من علماء استانبول بعد أن رتب له السلطان ولعائلته رواتب تسد حاجتهم.

فلما وصل مكة عقد حلقة درسه خلف المقام الحنفي صباحاً، وكان من طلابه: الشريف الحسين بن علي الذي تولى إمارة مكة ثم أعلن الثورة العربية عام ١٣٣٤هـ ضد الأتراك، والشيخ أحمد أبو الخير مرداد شيخ الأئمة والخطباء بالمسجد الحرام، والشيخ عبد الرحمن سراج الذي تولى إفتاء الأحناف، والشيخ أمين محمد مرداد المدرس بالمسجد الحرام، والشيخ عبد الرحمن بن حسن عجيمي، والشيخ عبد الله الغمري، والشيخ حسن عبد القادر طيب، والشيخ عبد الرحمن دهان، والشيخ أسعد دهان، والشيخ حسن كاظم، والشيخ عبد الله أبو الخير مرداد، والشيخ عبد الحميد بخش الفلكي، والسيد حسن دحلان، والشيخ محمد حسن خياط، والشيخ عابد بن حسين مالكي، والشيخ أحمد نجار، والشيخ محمد حامد الذي تولى مديرية مدرسة الفلاح بعد تأسيسها، والشيخ محمد سعيد بابصيل مفتي الشافعية، والشيخ محمد سليمان حسب الله،

والسيد عبد الله زواوي، والشيخ محمد زين العابدين، والشيخ محمد صالح كمال، والشيخ محمد علي كمال، والشيخ درويش عجيمي، والشيخ ابو بكر رفيع وغيرهم من علماء المسجد الحرام.

أما قصة تأسيسه لمدرسة الصولتية ذائعة الصيت، فتعود الى أنه في عام ١٢٩٢هـ اشترت سيدة إسمها صولة النساء أرضاً بالخندريسة وأوقفتها لبناء مدرسة بواسطة الشيخ رحمة الله، فشرع في بنائها حتى أتمّها عام ١٢٩٢هـ، وسماها المدرسة الصولتية تخليداً لإسم المحسنة (صولة النساء) ولما هدمت الحكومة العثمانية مكتبة الحرم التي كانت خلف بئر زمزم، اقترح الشيخ رحمة الله على الوالي المحافظة على أحجار المكتبة لاستعمالها في بناء مسجد لأنها جزء من المسجد الحرام، فوافق الوالي على اقتراحه، فباع الشيخ رحمة الله الدار التي يملكها وبنى بجانبها مسجداً ورباطاً لفقراء طلبة العلم، واستعمل حجارة مكتبة الحرم في بناء المسجد، فلما تمّ بناؤه حضر شاعر ذلك العهد الشيخ أحمد نظيف عند الشيخ رحمة الله وقدم له قطعة من شعره، فكتبها على باب المسجد ولاتزال حتى هذا العهد تشهد لهذه المأثرة الخالدة وهي:

على أيمن الدانين بالسفح من كدا
مقام كريم للمصلّى تجدّدا
دعائمه شيدت على البرّ والتُقى
وأرجاؤه للدين والعلم والهدى
أحاطت به الأنوارُ من كلّ جانبٍ
وطابَ لأهلِ العلم والرُشدِ موردا
بناه الهمام البحرُ ذو الفضل والندى
ولا غرو قد أضحى إماماً مجدّدا
فلله ما أبدى من الخير في الورى
من النفع في نشر العلوم وشيّدا
له الفوز ما قال (النظيفُ) مؤرّخاً
بما ـ فاد أنشا رحمة الله ـ مسجدا

مؤلفاته

ما كان الشيخ رحمة الله مجاهداً مجاهداً ومدافعاً نلشر الدين والعلم فحسب، بل انكبّ على التأليف، وكانت معظم مؤلفاته في الدفاع عن بيضة الإسلام وهي:

١ — إظهار الحقّ. وترجم بإسم إبراز الحق الى جميع اللغات في عام ١٢٨٠هـ.
٢ ـ إزالة الأوهام في الرد على المسيحيين، باللغة الفارسية، طبع عام ١٢٦٩هـ.
٣ ـ إزالة الشكوك. في مجلدين باللغة الأوردية.
٤ ـ الإعجاز في تحريف الإنجيل، طبع عام ١٢٩٢هـ.
٥ ـ أحسن الأحاديث في إبطال التثليث، طبع عام ١٢٩٢هـ.
٦ ـ البروق اللامعة في إثبات الرسالة المحمدية (مخطوط).
٧ ـ البحث الشريف في إثبات النسخ والتحريف، طبع عام ١٢٧٠هـ.
٨ ـ إعوجاج الميزان في الرد على كتاب ميزان الحق للقسيس فندر.
٩ ـ الشبهات في إثبات الإحتياج الى البعثة والحشر.
١٠ ـ رسالة في الحشر.
١١ ـ رسالة في وقت صلاة العصر.
١٢ ـ رسالة في ترك رفع اليدين في الصلاة.

رجال السيف والقلم!

قيل عن التحالف الوهابي السعودي بأنه تحالف بين رجال السيف والقلم. رجال السيف هم آل سعود، وقد مثّلهم الملك عبد العزيز مؤسس الدولة، ورجال القلم هم مشايخ المذهب الوهابي، فقد كانوا نخبة المجتمع النجدي ثقافياً، فهم من كان يحسن (فكّ الخط) ومن يوجّه السكان دينياً في المساجد والكتاتيب. اجتمع رجال الصنفين فشكّلوا دولة، زعم أنهم شركاء فيها، مغنماً ومغرماً. وإذا كان الخلاف بين رجال السيف والقلم قد رسمت حدوده الحمراء، فإن ما نشهده اليوم يمثل تمرّداً على تلك العلاقة، ومحاولة لإعادة تشكيل التحالف ومن ثم تقسيم الغنائم بشكل (عادل!).

لقد تخلّى رجال السيف عن سيوفهم، فالتقطها رجال القلم، وتغيّرت مهمّات كل طرف، وفشا العنف في عاصمة السعوديين.

تطورات كثيرة حدثت في المجتمع السعودي تضغط بإنهاء هذا التحالف. فرجال المذهب الرسمي لم يعودوا يمثلوا ـ وحدهم ـ طليعة ونخبة المجتمع، حتى المجتمع النجدي نفسه. فانخفاض نسبة الأميّة وارتفاع مستوى التعليم، جعل مهمّة رجال الدين صعبة في فرض آرائهم وثقافتهم ورؤيتهم لحاضر البلد ومستقبله. ورجال الدين لم يتطوروا من الناحية الفكرية بذات النسبة التي تطوّر فيها المجتمع، وبالتالي فإن هالة القداسة فقدت الكثير من مضامينها، وأساليب الماضي لم تعد مقنعة للأجيال الجديدة.

وفي جانب السياسة، فإن رجال السيف الممثلون لها، لم يعد ينظر إليهم من زاوية الحق الإلهي، وكأن الله انتدبهم لمهمّة حكم هذا (الكوم) من البشر، دونما رأي له يسمع. إن التطورات السياسية التي مرّ بها المجتمع السعودي لا تقبل اليوم احتكار السلطتين الزمنية والدينية بين رجال السيف والقلم، ولا تقبل بالتحالف بينهما، وينظر المواطنون الى تحالف الطرفين كتحالف شرّير لا يستهدف إلا الى الإستبداد الديني السياسي المزدوج الذي يعيق المجتمع عن التقدم السياسي والإجتماعي.

كلا رجال السيف والقلم أنهوا دورهم الأساس في صنع كيان الدولة، أما أن يستمروا في الإستفراد بحكمها وتغييب الطرف الثالث والأهم وهو الشعب عن المعادلة فما عاد بالإمكان الإستمرار فيه.

ونظراً للإنسدادات في العلاقة بين رجال العهد الماضي أو الذي يجب أن يمضي، تفجّر العنف في المملكة كتعبير واضح لها. وما دامت معادلة السيف والقلم قد اختلّ توازنها، فهل سيدخل الشعب كعامل مستقلّ في المعركة لصالح هذا الطرف أو ذاك، أم يؤسس لحالة سياسية خاصّة به يكون هو حكَماً فيها؟

لا شك أن رجال القلم الذين استبدلوه بالسلاح سيكونوا من الخاسرين شأنهم في ذلك شأن رجال السيف، وقد تؤذن المواجهة العنفية بين الطرفين بنهاية لعقود الإستبداد المزدوج.

المملكة (المجلوطة)!

لغة الأمن

لغة رجال الأمن والمباحث واضحة، يكررها علينا صاحب السمو الملكي رجل الأمن الأول الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود حفظه الباري وأبقاه!

وأمراء المناطق المحترمين يستخدمون نفس اللغة.

جاءت التفجيرات الأخيرة، فأطلّ علينا مشايخ موظفون لدى الأمن.

وصحافيون يعملون في جهاز الأمن.

ومثقفون يستلمون رواتبهم من الأمن.

كلّهم يتحدثون ذات اللغة.

كلّهم يقول: كل مواطن هو رجل أمن! ما شاء الله على الإبداع! وعلى حسن الظنّ بالمواطن الكريم!

ويقولون: إن القيادة لن تهتزّ لها شعرة بسبب هذه التفجيرات، فالشجاعة ديدنها، وفي ذلك مصيبة إن لم يهتزّ منها شيء حقاً!

ويقولون: المواطن والقيادة في إطار واحد (هو إطار دانلوب طبعاً!) وقد كان الملك فهد المجلوط! يحب استخدام إطارات السيارات في أحاديثه وخطبه العصماء.

يريد رجال الأمن أن يحولوا - واهمين - الوطن بأهله وناسه الى مخبرين، والى مدافعين عن الأمراء الفاسدين الناهبين الطاغين. ورسالتهم واضحة: إلتفّوا حول القيادة! وحول (العقيدة السمحاء) المزعومة التي يختفي وراءها كل الإنحرافات والجرائم والأثام.

ومشايخ السوء، وعّاظ السلاطين، يستخدمون الآيات والأحاديث مع مزيج من النفاق والكذب لتحميل المواطن مسؤولية حفظ أمن آل سعود. المواطن المهان المنهوب المسلوب حقوقه الأساسية، يتمّ تحميله نتائج سياسات الأمراء، في حين أن الأخيريين لم يغيروا لا سلوكهم الشخصي ولا السياسي.

نحن نعرف مشايخ الأمن من لحن القول.

ونعرف صحافيي المباحث من اعوجاج المفاهيم والطلبات.

ونستطيع التمييز بين لغة الأمير نايف الأمنيّة، ولغة المصلح الوطني الباحث عن حل لمشكلة شعبه وأمته.

عقدة رجال الأمن تكمن في الأمن نفسه. فهو محور حديثهم، وموطن عقدتهم، وحوله وعليه تدور كل التحليلات الساذجة والمطالب الغبيّة.

★ ★ ★

رفق بالإنسان

إبشر أيها الشعب المَسَعْوَدُ!

فقد قرّر الأمراء إحترام إنسانيتك واحترام حقّك: لقد قرّروا تشكيل لجنة للدفاع عن حقوق الإنسان في مملكة (العبيد).

رحمك الله يا ناصر السعيد! لقد طالب قبل نصف قرن بتشكيل لجنة (للرفق بالإنسان في مملكة السعوديين) أسوة بجمعيات الرفق بالحيوان التي كان يشكلها التلاميذ في المدارس قبل أن يأتي فيصل ليلغيها خشية تسييسها!

وبين الرفق والدفاع ستضيع حقوق كثيرة كما ضاعت أمثالها من قبل.

لماذا نتشاءم من تشكيل لجنة حقوق إنسان في السعودية؟ لأنّ قرار الحكومة جاء عن ضغط وإكراه، واستجابتها تحايل والتواء، وسيكون وجود اللجنة غطاءً إضافياً للإنتهاكات القادمة، وأول المنتهكين ليس الموظفين الصغار والجلادين أصحاب السياط، بل عليّة القوم، الأمراء الذين يصفعون وزراءهم، ويقتلون بالمسدسات خادماتهم وسائقيهم.. فهل سيصبح هؤلاء بشراً بعد أن يجري تأهيلهم؟! كيف تدافع لجنة حكومية عن حق مواطن فتصبح هي القاضي والمتهم؟ وهل سيسمح للجنة شعبية تدافع عن المواطن أن تجبر الأمراء على الإلتزام بحكم القانون، بحيث لا يرأسها أحدهم، أو يعيّن من قبلهم؟

★ ★ ★

مؤتمر وطني على الطريقة السعودية

طالبت عريضة الإصلاح الوطني بمؤتمر وطني تعرض عليه مشاكل البلاد ويؤسس لمرحلة وطنية جديدة وعقد اجتماعي بين السلطة والمجتمع، لتقوم بعدها انتخابات وتتم مواجهة المشكلات الملحّة والحادّة.

وانتظر الموقعون الأمراء من أجل الإستجابة، فإذا بالمانشيت يظهر في الصحافة عن حوار وطني (فكري) يشارك فيه الغلاة: سفر الحوالي، سلمان العودة، سليمان العلوان، وغيرهم!

والحوار الفكري هو حوار عقائدي، شيعي سلفي، غاب عنه علماء الحجاز، فلم يعترف بهم ولم يدعوا الى المؤتمر العجيب. مثل هذه الحوارات عقيمة الجدوى، لا تحلّ مشكلاً، لأن القضايا في جوهرها سياسي، لا يحلّه المشايخ، خاصة المتطرفين آنفي الذكر.

أبمثل هكذا مؤتمر تحل أزمة الوطن؟!

★ ★ ★

هؤلاء هم الحصاد فمن هم الزارعون؟

سلّم السودان الحكومة السعودية ١٨ شخصاً قالت أنهم سعوديون أو مقيمون في السعودية، وينتمون الى منظمات عنف. وسيكون سعود الفيصل وزير الخارجية في طهران للتفاهم مع حكومتها بشأن مجموعة من المعتقلين السعوديين القادمين من أفغانستان. وكان السعوديون قد تسلّموا عدداً منهم من قبل.

وقبل هذا كان ثلاثة سعوديين اعتقلوا في المغرب اتهموا بالتخطيط لعمليات انتحارية ضد مصالح غربية عسكرية. وانفجار المغرب أشار الى توجّه سلفي وراءه، والسلفيون لا توجد لهم مرجعية إلاّ في السعودية. دع عنك ما جرى في نيويورك والرياض مؤخراً، وما جرى ويجري في الجزائر من الجماعات السلفية.

قليل من الرعاية السعودية يأتي بكثير من الحصاد! فكيف بكثير من الرعاية؟ كم سيكون حجم الحصاد حينها؟



الحجاز - Microsoft Internet Explorer

File Edit View Favorites Tools Help

Address http://www.alhijazi.org/

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات

كيف يحقق إنقسام السكان وحدة السلطة السعودية

في تقريرها الصادر هذا العام (2002) كتبت شركة بي إف سي (Petroleum Financing Company) بأن ليس هناك ما يمكن وصفه بـ (مجتمع سعودي) وانما الصحيح قوله هو مجتمعات متعددة. ويرى التقرير بأن الانقسامات الداخلية على قاعدة مذهبية (سنة وشيعة) او مناطقية (نجد وحجاز وربما بدو وحضر) أو قبلية تحقق ضمانات أكيدة حيال أي ثورة وطنية، وأن أسوأ التحديات التي تواجه السلطة حسب التقرير ستكون في الغالب ذات طابع محلي أي مناطقي.

ينبّه التقرير الى قضية على درجة كبيرة من التعقيد وهي ان انتظام المناطق والجماعات في وحدة سياسية موحدة هي المملكة العربية السعودية لم ينتج عن انصهار جماعي اختياري بل نشأ على أساس استتباع قهري والحاق قسري لهذه المناطق والجماعات.

وحتى قيام الدولة على أساس غلبوي في بدايات تكوينها لا يدحض الحاجة لاحقاً الى اعادة صهر ودمج في بنية الدولة الجديدة، تطوي مرحلة القهر والاستتباع وتوفر قناعات جديدة للملحقين الجدد بجدوى الانتماء لهذه الدولة.

تركي الحمد:

السعودية معتقلة وتواجه أزمة وجود

مقالة الكاتب والمفكر السعودي الدكتور تركي الحمد في الشرق الاوسط في الثالث من ديسمبر الجاري تضمنت جزئياً على الأقل لغة تبريرية لما اعتبر خروجاً غير مألوف عن النسق المعتاد لأحاديث الامير نايف ضد الأخوان بما يعزز ما ذهب اليه الكاتب حين أراد تحميل الاخوان الازمة التي تعيشها المملكة هذه الايام و(أنها مسؤولة عن عنق الزجاجة الذي تجد السعودية نفسها فيه الآن) وهي أزمة (تفوق في شدتها أكثر الأزمات السابقة التي مرت بها البلاد) حسب الدكتور الحمد. فعبارات كهذه تميل الى تعضيد موقف الامير نايف من جماعة الاخوان.

ولكن ما يقف خلف هذا الموقف هو الأهم. فالدكتور الحمد يستعرض صورة الاوضاع الاقتصادية والسياسية للدولة السعودية، فالوضع الاقتصادي يبدو ضعيفاً والاداء السياسي والاداري يعاني من بطء في الحركة والمرونة (ومن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أصبحت السعودية محط أنظار العالم في كل تفصيل من تفاصيل حياتها).

معوقات الديمقراطية في المملكة العربية السعودية

الحجاز في أول الكلام

قد يؤكد عنوان المجلة انطباعات متضاربة تبعاً للانشدادات الفكرية والسياسية والانتماءات الايديولوجية المتباينة للقراء الكرام. ولعل من ابرز الانطباعات المتوقعة هو ما يستند فيها على النظر الى المجلة من زاوية التمثيل المناطقي بايحاءاته الانقسامية. وهذه النظرة غالباً ما تتعزز في ظل دول تحتضن جماعات متعددة من حيث انتماءاتها الجغرافية واصولها الاجتماعية وموروثها التاريخي والثقافي، وقد تتسع النظرة الى حد اعتبار المجلة كصوت ناشز في الدائرة الوطنية. هذه الهواجس مهما بلغ حجمها لا يمكن تبديدها غالباً بادعاءات سبقية أو مزاعم نظرية قبل خوض امتحان التجربة.

متشددون يهدمون قبر ومدرسة السيد علي العريضي العلوي

جرافات ومعدات هدم عديدة قامت صباح يوم الأثنين الموافق 2002/8/12م بالتجهيز لهدم مسجد السيد علي العريضي (766-825م). وكانت اتصالات قد جرت بكبار المسئولين في الحكومة السعودية والمؤسسة الدينية لمحاولة إيقاف هدم هذا المعلم الأثري والديني الهام، ولكن بعض المتشددين من رجال الدين قاموا في مساء ذات اليوم بهدم المسجد وتسويته بالأرض. وكان هذا المسجد وملحقاته إلى ما قبل حوالي خمسين سنة مركزا إسلاميا مهما لتدريس الدروس الدينية وكان يحتوي على مكتبة عامة كبيرة تحوي عشرات الآلاف من الكتب والمصادر الرئيسية للدارسين والباحثين في الدراسات الإسلامية.

حلم لازال يراود البعض:

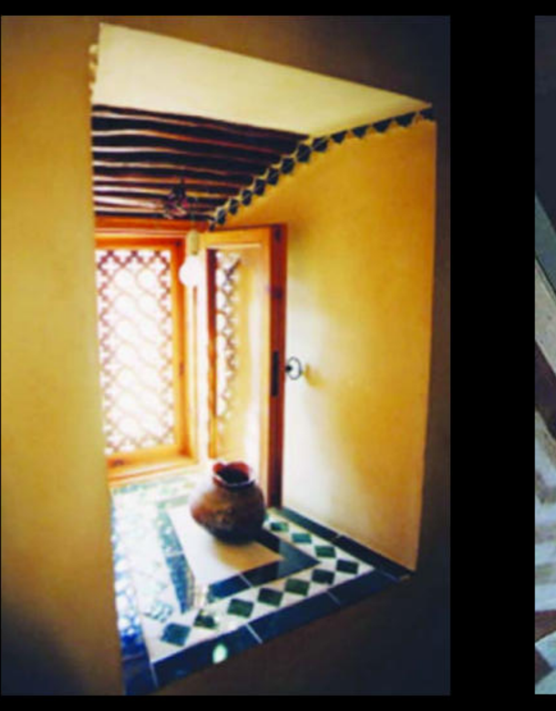
Done Internet

الحجاز على الانترنت http://www.alhijazi.org

للمراسلة: editor@alhijazi.org







نموذج من البناء التراثي الحجازي الذي يختلط بالإبداع المعماري الحديث